

المشرق

في السلطة الحاكمة

لمضرة الشنيور يوسف العام النائب الاسبق

خطاب تلاه في غرفة القراءة المارونية في خلة عيد المجلس أول أيلول سنة ١٩٠٢

لقد طالما بحث الانتماء والفلاسفة من ايمد عهد عن مصدر السلطة الحاكمة وذهبوا في بحثهم مذاهب. فالبعض على أنها من انتخاب الشعب والبعض الآخر على أنها من مصدر اعلی وهو الاصح لا بل هو الصحيح. قال ارسطاطاليس: ان مصدرها الطبيعة يعني ان الاب لما تكاثرت اولاده واحفاده وبينهم من وشائج الدم قيود مكينة ومن اراصر القرابة روابط شديدة لم تدعمهم فيكون متقيدین بحكم ولايته عليهم وتديره لهم اه. قال شيشرون: ان السلطة المدنية مثال السلطة الوالدیة وان هي الا تعديدها او تادبها فمصدرها عنها دون شك اه. وكما ولدنا اولاداً غير مستقلين كذلك وجدنا وعاياناً غير مستقلين وكما ان الولد يحتاج الى من يربيه ويحافظ عليه كذلك لدى وجوده في حضن الالفة يحتاج الى من يرويه ويحبه وكما وجدنا في مهود الولادة متراخين ومتقاربين من غير مخالفة يتنا ولا معاهدة كذلك وجدنا في محاجر الالفة خاضعين متقادين ونحن ملتقون ومزتانون والله هو الذي اوجد هاتين السطتين الوالدیة والالنية عناية منه بالحير العام وعلى هذا المبدأ بُنيت مهاد ولاية اولئك الذين كانوا في اوائل الاجيال يُدعون آباء. وقد بقّت لهم مآثر وآثار بين جميع الامم والشعوب ولم يكن وقتئذ لموامل الانتخاب ناصب في امر نصيبهم ولا وافع في دفعة مناصبهم اي لم يكن لهم ضلع في أمر ولاية آبائهم. فولاية الفريقين هي من احكام الطبيعة اي من

ترتيب الحائز الذي برأ هذه الخلائق وغرس فيها من طبعها ما يتكفل بخير حياتها وراحتها : وزاد بعضهم هذا التعليل يائماً فقال : « ولما كان مصدر الالفة من شريعة الطبيعة وكانت السلطة من مقتضياتها الضرورية كان مصدر السلطة ايضاً من شريعة الطبيعة فليست اذن صادرة عن ارادة بشرية بل هي حق بمحكم الشريعة الطبيعية ملازم لحالة الالفة فلا يمتلئ برضى اصحاب الالفة المتألفين ولكن الطبيعة التي اوجدت الالفة هي اولت السلطة لانها الواسطة الضرورية لحفظ هيئة الالفة ونظامها . وبعبارة مختصرة نقول : ان الانسان ترتب للسعادة والوسيلة الى السعادة هي الالفة والوسيلة الى رعاية الالفة انما هي الولاية وما هذه الا السلطة الحاكمة » اهـ

يقول المترضون ان الحاكم قد يقوم بانتخاب الشعب فولايته اذن من الشعب كإنتخابه . الجواب ان النتيجة غير ناهضة لان هذه الولاية هي من حقوق المنصب لا من متعلقات الانتخاب الذي هو من متعلقات الشعب . على ان الولاية والانتخاب ليسا دائماً من مصدر واحد . وهذه الولاية الوالدية فانها ليست من رضى الاولاد ولا العيلة وان يكن الرجل لا يصير اباً عيلة الا برضى زوجته لكن ولايته الوالدية على عيلته ليست من رضاها بل هي من الطبيعة التي اولئها هذه الولاية الضرورية لوظيفته . كذلك قل في من انتخب من الشعب حاكماً عليهم فولايته لا تكون من الشعب بل هي من حقوق منصبه الذي يستلزم هذه الولاية حفظاً لنظام الالفة على انه لو كان الاسر كما يزعمون وبش ما يزعمون من ان مصدر الولاية هو من رضى الشعب وانتخاباته لم تكن هذه الولاية لتثبت في صاحبها الا مقدار ما يثبت الجمهور على فكر واحد وقول واحد

يكفي ما ارددنا من اقوال الفلاسفة فلنأت الآن الى الكتاب المقدس فان فيه البينات الساطعة والحجج القاطعة لاثبات مبدئنا هذا . قال الله تعالى : **يَتَمَلَّكُ الْمُلُوكُ** (امثال ٨ : ٥١) . وقال دانيال (ص ٢) : **لَيْكِنْ اسْمُ اللَّهِ مَبَارَكًا مِنْ الْاَزَلِ إِلَى الْاَبَدِ** لان له الحكمة والجبروت وهو يغير الارقات والازمنة وي عزل ملوكاً وينصب ملوكاً . وقال بولس الرسول رومية (١ : ١٣) : **لَتَخضع كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّالِطَاتِ السَّامِيَةِ** لان ليس سلطة الا من الله والسالطات الكائنات هي مرتبة من الله

وما احسن ما قاله القديس اغريستينوس بهذا الخصوص : « نحن لا نقول بان لاحد غير الله حقاً لا يلا . الملكة والملك . فهو في الآخرة يولي الاربار وحدهم ملك السماء واماً

هنا فأنه يرلي الملك من يشاء. من الابرار كان او من الاشرار لكنه لا يشاء. ألا العدل فالذي أعطى الحكم لادربوس هو عينه أعطاه لقيصر. والذي سَطَّ اغسطس هو الذي سَطَّ فيرون. والذي رَلَّى قيسيانوس الكبير وابنه قيسيانوس (طيطس) الصغير الملكين الجديرين بكل محبة هو الذي ولَّى درميطيانوس الظالم. وحتى لا نأتى على ذكر الجميع نقول ان الذي ملَّك قطنطين هو الذي ملَّك يوليانوس العاصي^١ اه. فتبين من ذلك جلياً ان الشعب لم يكن قطعاً مصدر السلطات السامية وان كان هو واسطة عقدها بانتخاباته احياناً إلا ان حكمة في ذلك حكم الكرادلة في انتخاب البابا او حكم الرعايا في انتخاب اسقف او خوري فان انتخابهم لا يوثق احداً من هؤلاء السلطة القاهرة لدرجة ومنحبه. فالسلطات اذن مصدرها الله لا رضى الناس وهذا عن حكمة سامية من الله جل جلاله لانه راعى في ذلك تأييد جانب السلطات ورعاية حقوقها بحيث لا تمتها اغراض الرعايا واهوازها التي لا تستتر على حال واحد.

ولكن ما لنا وهذه اليناث وعندنا الآية الكريمة وهي قول المَلِئَمِ الالهي سيدنا يسوع المسيح: أعطوا قيصر ما هو لقيصر. وكان قوله هذا فتوى على سؤال طرحه عليه بعض اليهود الذين كانوا يتوهمون انه لا يلزمهم الطاعة للملوك من غير انتمهم فزال الرب منهم هذا الوهم ودفعه بثلث حجج: (اولها) بانه اراهم صورة الملك المرسومة على اصناف العملة المتداولة بين ايديهم اذ طلب منهم ديناراً وسألهم لمن هي الصورة المرسومة عليه فقالوا: لقيصر. فلو لم يكن قيصر هو الملك عليهم لا ساع له ان يرسم صورته على النقود المتداولة في المملكة. (الثانية) بقوله «اعطوا قيصر ما هو لقيصر واعطوا الله ما هو لله» يريد بذلك تذكيرهم بان الطاعة واجبة لقيصر وغيره من الملوك كما هي واجبة لله لان سلطة قيصر وامثال قيصر هي من الله فلا مناص لهم من عدم الطاعة والخضوع. (الثالثة) هي علميته فان اليهود المنوّه بهم اعلاه كانوا واقنين له ولتلاميذه في الرصاد ليعرفوا ان كانوا يتقادرون لادراس قيصر ويقدمون الالوال المرتبة له على دعاياه. فالسيد المسيح قد عمل كما علمهم في اعطاء قيصر ما هو لقيصر ولذلك أمر بطرس ورسوله ان يذهب الى البحر وأسر حوتاً من حيتان البحر ان يوافيه باستير فاخذه بطرس ورجع فدفعه عن مملعه وعن نفسه لجباة الحكومة. فهذا تعلم المسيح وهذا عمله وعنه اخذ رسله وعلماء الكنيسة ما قالوه بهذا الشأن كما قدّمنا

وخلاصة المقال ان ديانتنا الالهية قد اوجبت علينا للحكومة واجبات ثلثة: طاعتها. وتأدية مطالبيها. ورعاية جانبها. وذلك لادبه ثلثة: كون مملكتها من الله. كونها محمية لنا. كونها مصدر شرفنا وسعادتنا. وهذه كلها ضئها الرسول في عبارته القائلة « فلتخضع كل نفس للسلطة اذ لا سلطة الا من الله » يريد انه لا يقدر احد من الناس اياً كان ان يتنذر عن عدم الطاعة للحكومة لانه لا يقدر ان يتنذر عن عدم الطاعة لله جل جلاله لان السلطة الموهبة للحكومة هي من الله. ومن ثمة لا يكون الخضوع للانسان بل لله فلا يحطُ خضوعه هذا بشيء من شرفه ولا ينقص من حريته اذ لا يكون خاضعاً لانسان مثله لكن لسلطة الله المعطاة لذلك الانسان. وزاد قوله هذا بان قال: « ومن يقام السلطان فقد قادم الله » اي فليكن الذي لا يطيع السلطان على حذر لانه ان نجا من بأس غضب السلطان لا ينجو من بأس غضب الله. ليت شعري لو اعتبر ذلك التادمون لكفائهم زجراً عن غرورهم وردءاً عن شرورهم لان حظهم انما يكون مع اولئك الذين تمردوا من الملائكة على العزة الصداينة فاهبطتهم من الاعالي العلوية وزجبتهم في المواقيد الابدية التي اعدتها ايضاً للتسردين ظاهريهم على سلطانها في البشر.

الواجب الثاني علينا للحكومة تأدية مطالبيها من اموال اعتاق وارزاق وما اشبه. فالحكومة تحافظ على حياتنا واموالنا وترعى العدل والحق بيننا والملك هو حارس الملكة وحفيظها وملجأها وحماها وقائدها ومديرها فان اصابها من آفات الدهر مصاب صده وان طرقتها من اعاديا طارق رده. ومن لنا في الملمات غير الحكومات وهل لنا نصير من مظالم الايام سواها وهل تعرف الرعايا غيرها امها واباها. وهذه حوادث الازل وهذه هالك الاوبئة كالطاعون والحمى والاعقر وهذه ضربات الجوع والجلب من رأينا في درنبا وانتفاذ الناس من مخالبيها سوى الحكومات. فمن ثم يكون ما يترتب لها علينا من المطالب ديناً واجب الوفاء وفرضاً لازم القضاء يلزم ان نؤديه عن طيبة نفس مع الشكر. وبه قال الرسول « ولهذا تؤدون الجزية »

اما الواجب الثالث علينا للحكومة فهو رعاية جانبها اي بذل كل ما لنا وعندنا في سبيل الدولة ورعاية شأنها والذب عن حوزها كأننا كلنا جنود مجتدة لخدمتها وان تكون خدمتنا لها صحيحة عن محبة واعتبار لا بالظاهر فقط بل بالباطن ايضاً وبه قال الرسول: « ولذلك يلزمنا ان نخضع ليس من اجل الخوف فقط بل من اجل الضير » ويتلنا

بمقابلة خدماتنا هذه من جانب الحكومة الشرف والرفعة بما تنعم علينا من المناصب والرسامات والرتب فهذه مصادر شرفنا ورفعة شأننا وحققنا ان تكون مجازاة لأعمالنا التي هي تستحق هذا الالتفات وعند ذلك يكون الشرف الصحيح

انه يظهر لي من ملامح وجوهكم ايها الادباء الكرام انكم قد استجتم ما جئنا به في هذه المجالة لجهة السلطة المدنية وما لها من القدرة والمكانة والرفعة وكل ذلك من المولى جل جلاله فانه هو الذي قد بنى معاليها على دعائم الشريعة الطبيعية الازلية وجعل مصدرها من جانب عرشه الباطني لانه قد اوجد الناس للالفة ونظام الالفة لا يقوم بدون سلطة. فمن ثمة رأى بحكمته أن تكون هذه السلطة من نفس سلطته معززة موقدة لا يستطيع البشر سبيلاً الى منها من جهة ولذلك قال: « في تملك الملوك » و « لا سلطة الا من الله »

الا انه يبدو لنا ايها الاحبة هنا اعتباران هما من الاهمية على جانب: (الاول) يلاحظ الديانة وشأنها في حق السلطة. (والثاني) ينظر في ما جريات الكبرياء البشرية في جانب السلطة. فالديانة قد عظمت السلطة كثيراً ورفعت قدرها وودعت جانبها وعززته بكل ما يمكن. وبكس ذلك الكبرياء البشرية فانه يتقل عليها اداء الطاعة والخضوع ولا تحب الا الاستقلال والانتقاد ولا تنقاد للسلطة الا رغماً وعثرة. ولتخضع في سر هذين الاعتبارين فتقول: ان الديانة ترى جانب السلطة لانها شقيقتها وكلتاها اشتبنا من مصدر واحد لكن الديانة وجدت في هذا الوجود قبل لانها وجدت حين وجد آدم الانسان الاول فلم يكن سواه يعرف الله ويحبه ويكرمه. ثم وجدت حواء فتكونت الالفة معها ولكن لم يكن حينئذ مجال للجالي السلطة ثم ولد آدم وحواء اولاداً فازهرت الالفة ومما برزت السلطة وكانت هذه السلطة اولاً متضوية في ظلال الابوة اذ كانت المية صغيرة وهي لما تكاثرت وصارت قبيلة بل قبائل صارت تلك الابوة حكرمة والسلطة الوالدية او الرئيسية صارت ملكية حاكمة كما قدمنا. ولما كان الله هو موضوع الديانة ومصدرها ومرجعها الوحيد كانت الديانة هي المحافظة اتم المحافظة على السلطة التي هي من الله وكلتاها اي الديانة والسلطة هما من مبدأ واحد وهو الله وغايتها واحدة وهي اسعاد البشر بالسعادة التي تربوا لها من الله. فهما بمثابة يدين للجسم الادبي الانساني تتماوتان وتقتافسان في خدمته ورعايته مصلحته ولما كان الانسان مركباً من

نفس وجد مرتباً للالفة من اصل طبيعه وكان مصدره 'الله وغايته الله تحم' ان تكون فيه الديانة والسلطة رعاية لحقوق المولى وحقوق العباد فلم يوجد شعب من دون ديانة ولا وجدت امة من غير سلطة. وعليه فالديانة قد امرت الناس بقضاء الحقوق التي عليهم للسلطة من اداء الطاعة ومال الاعناق والارزاق والاحترام لشأنها واجتناب الشر وتهديد اهل الثورة بعتوبة الله وعمل الصلاح فهذه كلها ذكرها الرسول في عبارة مفصلة فيا حبذا لو انتشر الناس بأوامر الديانة هذه قائمهم لو فعلوا لصار الاستغناء عن الاستعانة بالقوات لاستحصال الاموال الاميرية ومنع الشرور واستتباب الكينة وعمل الصلاح وتوطيد اركان المهابة والطاعة. ولما كان حب الكبرياء يحمل الانسان على عدم الانقياد والخضوع لاوامر من كان ظليته من الناس أوضحت له الديانة ان خضوعه لصاحب السلطة انما هو خضوع حيي للمولى لان السلطة هي من الله وان مقاومته للسلطان انما هي مقاومته لله وانه اذا نجحنا من بطش السلطان لا ينجح هناك من بطش الله الديان. فحماية الديانة هذه عن الملوك هي اعظم محاماة وابن صولة عاكرهم من صولة وب السماوات والارض الذي بصوته يززل الارض ويدك الجبال ويقض الصراعت وعمر الذي قال كوفي فكانت وهو الذي يطربها كالرداء لوشاء.

ومن ثمة رأينا في كل الاجيال اصحاب السلطة العالية العاتلين التدينين يحافظون كل المحافظة على الديانة ورعاية حقوقها في رعاياهم علماً منهم بان الديانة متى كانت راسخة القدم في قلوب الناس ساقطهم الى الطاعة وحب السلامة واجتناب المعاصي وان لها قوة وسطوة على النفوس في الجهر والسر والداخل والخارج لا تادلها القوات البشرية. هذا فضلاً عن كون الانسان اذا لم يكن متشبهاً بأذيال الديانة لم يكن عضواً صالحاً للالفة ولا عبداً اميناً لمولاه ولا رجلاً نافعاً للسلكة واي قضية صحيحة توجد في من لا يعرف الديانة او بالحري لا يعرف الله.

وها ان جميع الفلاسفة والائتة المشرعين قد اجمعوا على ان عماد الحكومات وازكان شرائعها انما هو الديانة. قال افلاطون: ان الاستعانة بالله قبل كل شيء. لمي من اول الواجبات له. واربسطاطليس رسم في شرائع العباداة الالهية وهكذا رأى باقي الفلاسفة. وقد كان الرومانيون شديدي التسلك بعبادتهم ومثلهم باقي الامم والممالك كما نقرأ في تواريخ الارلين وذلك كما ابلان المعلم رؤسوا لأنهم كانوا متقين على ان الحكومة

من دون ديانة لا تلبث ان يُكلَّ عرشها وينذل بطشها ولا تتورد الرعايا تهاب سلطة ولا ولاية. قال افلاطون ولقد اصاب: « ان اول شيء يلزم الحكومة ان توجه نظرها اليه انما هو رعاية جانب الديانة الصحيحة لان رجال الدولة لا تهذبهم الا هذه الديانة اذ ان عدم معرفة الله لا اعظم الآفات على كل حكومة ومن يسمى بابعاد الديانة قد سعى بتقويض اركان الالفة » اهـ

قال المعلم تروتليانوس: « ان من لا يعتقد بوجود الله يسهل عليه مخالفة الشريعة لافتكاره بأنه يقدّر ان يتجرب من عقوبتها اياً بالفرار او بتحمل جزاء خفيف او قصير. اما نحن الذين نؤمن بان الله يرى اعمالنا ونخاف ان يتعقّبنا عليها بعذاب دائم فتري ان تمسكنا بعمل المبرّات والحسنات خير لنا وازكى ومن ترى يظن انه لولا الديانة كان التوري لا يتلقف الضعيف والحديث الداهية لا يقتنع الأمي الساذج بشرك دهائه » اهـ. قال القديس يوستينوس الامبراطور « انما نحن الوسيلة لتثبيك ظل الأمن آمناً مرتاحاً لاننا نعلم انه لا تخفى على الله خافية من الناس اشراراً كانوا ام ابراراً وان كلاً منهم سوف يجازى بحسب اعماله حيرة أبدية او عذابات أبدية. على انه لو كان الجميع يعلمون هذه الامور لما عاد واحد منهم يتجرأ على اتباع الرذيلة وترك الفضيلة لعله انه سينج في المواقيد الدائمة. ولكن اولئك الذين يتخفون شرائعك يظنون انه لا يوزعهم الا التخفي عن مراقبة جنودك ليمسكوا من العقوبات التي رتبها عظمتك على الاشرار الاشقياء » اهـ وقد تبغى علينا ان نلج في الحتام الى فرضهم توجيه علينا ديانتنا المقدسة في حق السلطة الحاكمة وهو تقديم الصلوات والادعية في مابداً بصرة حافلة كما ادعز بولس الرسول الى تلميذه تيموثاوس حيث قال (١ تيم ٢: ١-٣): « فن ثم أسألك قبل كل شيء ان تقدم لله حاضرة وتوسلاً... من اجل الملوك والعظماء ليحطوا محلاً هادياً بجميع تقوى الله... فان هذا حسن ومقبول لدى الله مناجسنا ». فامتثالاً لوامر الرسول نقيم نحن معاشر النصارى الراضين في ظل الاريكة الميثانية ايدها الله الابتالات الحارة والادعية الخيرية لاجل... لميكنا وخاقاننا الاعظم المالك سعيداً ولاجل دولته العلية المريعة بعين العناية الصمدانية وهذه التوسلات نرفعها في كل آن وقد وقفنا خضوعاً في مثل هذا النهار الذي هو عيد جلوس شوكته المانوس وقلنا في ختام دعائنا: « اللهم هذا دعاؤنا وفتحنا إليك كما علمتنا ولا شك انه يكون لديك مستحسناً ومقبولاً كما وعدتنا ». ولما كان

القاء هذا الخطاب بمناسبة هذا العيد الجليل ومن جهة مجالي الاحتفال به رأينا ان نقدمه مطبوعاً في هذه المجلة لكارم عطوفة ملجأ ولايتنا الرشيد مع ما تقدم رتبنا به من فردوس التهاني والابتهاال ومجالي الاجلال والاحتفال بالعيد المجيد الميسون المقرون بصوف السمد والاقبال (المشرق) اننا ننفي على راقم هذه الاطر حضرة التسنير يوسف المام وعلى خطايه المسجدي فان الادلة العقلية والتقليد التي اثبت فيها اصل السلطة الحاكمة وحقوقها وما للدين في عضدها من اليد الطولى لمدير باعتبار كل عاقل يجب الألفة ويريد بناء ما سألته من آفات القوضى ومواقب الفتن الوحشية في ظل الرؤساء الشرعيين أيده الله سلطانهم وارشداهم الى كل ما فيه خير الرعايا ومالغ الدولة

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لا سبق)

٥ الاسم البائدة في لبنان

٣ الإبطوريون

سبق لنا القول (ص ١٠٧) ان الرومان لما فتحوا الشام وجدوا لبنان في حوزة قوم من النزاة كانوا عثوا في جباله الساحلية الممتدة من طرابلس الى جبيل - وهم الإبطوريون وليس هؤلاء القوم من لبنان رأينا اصلهم من اللجأ ومن جبال حوران وكانوا ذوي بأس وطمع فتحاملوا على الجبل الشرقي واتخذوا خيراتهم كطعمة ثم تشبثوا الى لبنان فاستولوا عليه قبل زمن الدولة الرومانية بقليل

والإبطوريون إحدى القبائل العربية او الآرامية (١) التي كانت منذ ذلك العهد مدت ظل سطوتها على البلاد الواقعة في جنوبي دمشق وشرقيها - وكان شيخ القبيلة اوانثذ يدعى بطليوس ابن متأوس من اعظم اهل سورية ثرة وقدرًا - وكان يحكم على بلد الإبطوريين الأصلي (٢) ويتولى الجبل الشرقي وجهات البقاع الشالية مع مدينتي بعلبك

(١) كل الاعلام الإبطورية الاصل الواردة في الكتابات القديمة إما عربية وإما آرامية راجع بمسوع الكتابات اللاتينية (CIL, III, n° 4171 etc.) راجع أيضاً تفاصيل اخبار الإبطوريين في مجمع الكتاب المقدس (Vigouroux: Dict. de la Bible, art. Iturée) (٢) إبطورية الأصلية توافقت بلاد اللجأ وحيدور الحالية - وقد ورد ذكر إبطورية في انجيل لوقا (١: ٣)

وكليس (Chalcis) وكان له عسكر من الفرسان يبلغ عدده ٨٠٠٠ فارس ولما ذهب بيبس على لبنان وجد طرابلس وما يجاورها من لبنان الشمالي (١) في قبضة احد الايطوريين من قرابة بطليموس بن منابوس يدعى ديونيسيوس. فاضطر الرومان لتوطيد دعائم سلطانهم ان يحاربوا هؤلاء الدخلاء حرباً عراً كانت نتيجتها وبالأعلى اهل ايطورية فاسر بيبس قاندهم ديونيسيوس وأمر بقطع رأسه ثم توغل في لبنان فانخرّب حصون جيفرتا وسنان وبيروما (٢) وكان غزاة الايطوريين يحمون من هذه المقامات النعمة على المدن الساحلية فيوسمون اهلها نهباً وقتلاً. وقد حاولنا في مقالاتنا السابقة ان نبيّن مواقع هذه الحصون فلترجع وقد حارب بيبس مدينة كلّيس الايطورية فدمرها. وكلّيس على الراي الراجح هي مدينة عين جبر التي ترى اثراتها في سهل البقاع. امّا قول البعض انها هي ذلة فلا نصيب له من الصحة كما سنبيّن في كلامنا عن هذه البلدة وخلاصة القول ان الآثار تثبتنا بامتداد سلطة الايطوريين في قسم كبير من لبنان الشمالي. ولما انتصر الرومان عليهم وفتحوا معاقهم تقاص ظلهم وباد ذكرهم من التاريخ ولا ريب ان بقاياهم امتزجت باهل لبنان وما يدل على وجود الايطوريين في لبنان ما وجدنا في الكتابات اليونانية من الأعلام العريّة لاسيّاً في رأس الشقعة والنحاء جيل وليس الايطوريون القبيّة العريّة الوحيدة التي دخلت في عداد اهل لبنان. بل نجد قبائل غيرها توطنت ذلك الجبل لاسيّاً التنوخيين (٣). وهذا الامر مهم لمعرفة عناصر اهل لبنان نكتفي اليوم بالاشارة اليه فقط

٤. الرومانيون

استفدنا من الفصل السابق ان الجيوش الرومانية قهرت الايطوريين في لبنان

- (١) اعني ما يشل اليوم قلنقيايات الكورة والبترون وقسم من جيل
(٢) ان صح قولنا عن وقوع سنان وبيروما في كسروان فيكون ملك الايطوريين بلغ هذه المدة ايضاً
(٢) جاء في كتاب البلدان للبقاعي ان لبنان المجاور لبيداء كان يسكنه قوم من قريش ومن اهل اليمن (راجع المجلة الانطونية ٨٧، IV، ZDPV)

وكسرت شوكتهم. ولما نزل ان يسلطوا رمل احتل الرومان في لبنان فاستعمروا؟ اليس
وجرد الكتابات اللاتينية المتعددة في هذا الجبل دليلاً على سكانهم فيه؟ نقول ان
جوابنا عن توطن الرومان في لبنان كجوابنا عن اليونان وقد اثبتنا ان الكتابات اليونانية
لا تدل وحدها على ان اليونان استخاروا لبنان لسكانهم. فهكذا قل عن الرومان فان
الكتابات اللاتينية تشير الى ملكهم على الجبل وتدل على ان اللغة اللاتينية كانت
اللغة الرسمية في بلاد الشام في القرن الاول السابق لعهد المسيح والقرنين التاليين له
هذا ولا ننكر ان بعض الرومان وخصوصاً اصحاب مستعمرتي بيروت وبيبلوك
الرومانيين كانوا يملكون في لبنان اقطاعات كثيرة من جملتها املاك الايطوريين لكن
الرومان في الغالب لم يتولوا بانفسهم زراعة هذه الاملاك وانما كانوا يسهون امرها الى
شركاء وطنيين يقومون بشؤونها ويستثمرونها باسمهم. وان وجد منهم احد في لبنان
فالصواب ان يقال انهم كانوا نفراً قليلاً. ومن ثمة لا يجوز ان ننظم الرومانيين
بين الشعوب اللبنانية القديمة

• المردة

في بيرة القرن السابع اعني سنة ٦٧٧ يذكر مؤرخو اليونان لأول مرة قوماً يحملون
سكانهم في جبال الشام من جبل اللكأم شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً وهم يدعونهم
مرداتين ويعرفهم المحدثون باسم المردة. ومن غريب امر هذا الشعب انه لم يند في
بادي ذي بد. ضعيفاً ضئيلاً بل زاه جاثماً فوق مشارف لبنان ضابطاً مضيقاً شاعلاً
كل نقطة الحصينة على مدى طوله من الشمال الى الجنوب وليس من يقوم في وجهه
بل كثيراً ما ينقض من مراكزه الحريزة فيغزو المعاملات القرية منه دون ان يرد احد
عجماً. ولم يزل امر هؤلاء المردة في اشتداد حتى صار كل الماهوفين والمطرودين من
اهل الوطن واصحاب الناقة يلتجئون اليهم ويأوذن بمجايتهم ويزيدونهم عدداً وقوة.
ولا غرو انهم لو ثبتوا مدة على ذلك لأتوا بالاعمال الخطيرة لولا ان ملوك الروم الذين
كانت المردة يخضعون لهم امروهم بالخروج من لبنان بعد ظهورهم فيه بضع سنين
فاندثر امهم على فور كما ظهوروا بنسة دون ان يبقوا في لبنان اثرًا من
مروهم (١)

(١) زعم ديبان في كتاب بنة فينيقية ان قلعة سر جيل من آثار المردة في لبنان ومقر

فن ذا ترى هذا الشعب ؟ كيف ظهر على فجأة دون ان يذكر احد وجوده في بلاد الشام ولبنان سابقاً ؟ اننى خرج من هذه اسنة اقترحها قبلنا العلماء وحاولوا حل عقدها . وبمّا يدل على ان الامر ملتبس عويص ان العلماء ذهبوا في ذلك الى مذاهب شتى تدّونها هنا دون ان تبدي فيها رأياً تاركين لقراءتنا ان يصوّروا الرأي الذي يرونه اصحّ وأثبت

ولا بدّ قبل بسط هذه الآراء المتباينة ان نروي اقوال الكتبة الاولين الذين ذكروا المردة مباشرة لأن اقوالهم من شأنها ان ترف هذه الطائفة وتبين خواصها يؤخذ من اقدم ما ورد عن المردة ان لبنان لم يكن مركزهم الاول . قال المؤرخ تاقفانوس عنهم (١) : « ان المردة دخلوا لبنان » . (ἐστὶν ἡ θύρα εἰς τὸν Ἀβύσσον) وفي هذا القول ما لا شبهة فيه عن مجيئهم الى لبنان من محل آخر . ثم اوردف تاقفانوس قائلاً : « والتجأ اليهم الرطثيون » وفي هذا دليل على ان المردة لم يكونوا من اهل لبنان بل غرباء عنه . امّا عددهم فكان وافراً يبلغ « اثني عشر الف رجل » . شك السلاح دون النساء والاطفال . وبمّا يدل على بطشهم انهم في مدّة اقل من نصف قرن ملأوا القلوب رعباً بفزواتهم المتواصلة

والمؤرخون اذا اشاروا الى المردة دعوهم بانظفة عسكرية وهي *εὐρυμυξ* يراد بها فرقة من الجند او الطابور . واسمهم هذا دليل على انهم لم يكونوا شعباً كبقية الشعوب بل كانوا على هيئة عسكرية ونظام حربي يفاخون الارض وقت السلم وهم على أهبة لمباشرة الحرب في اي ساعة كانت . ولنا مثل على هذا التنظيم في أمة الكراوتيين التي كانت في القرن الثامن عشر تحافظ على حدود النساء في جنوبها . وكان للرومان ايضاً فئات عسكرية من هذا الصنف كانوا يقيمونها عند ثغور مملكتهم فيدعونهم لاجل ذلك بالفئات الحدودية (*limitanei*) اعني انهم يذبون عن الحدود ويدفعون عنها الاعداء . وكان اولادهم يرثون تلك الاملاك من بعدهم ويجرون مجراهم في الدفاع عن ثغور الدولة . وكان الرومان يختارون لمثل هذا المشروع قداماء الجند الحثكئين

بلا دليل عرّطنا على مثله هذا الكاتب الذي يتخذ منكم حجة لمزاعم . وقد بينا غير مرّة انه كثير ما يرمي الكلام على عوامه ولا يستند الى الادلة

(١) راجع تاريخه في مبعوع الآباء اليونان المجلد ١٠٨ (PG, T. 108 p. 722, 733, 737)

في آداب الحروب ثم وكلوا ذلك بمدنير الى بعض اهل البلاد المجاورة لحدود المملكة (١)

وان سألت عن الدولة التي كان المردة يخدمونها اجبتك انهم كانوا تحت حكم ملوك الروم فهم الذين تقدموا اليهم بالدافعة عن الثغور الشامية وهم الذين صرفوهم عنها واتزلوهم في نواحي آسية الصغرى كما سيأتي
فهذه الافادات عن المردة لا ريب فيها قرأ بصحتها كل المحدثين لأنها وردت في تواريخ مشاهير الكُتبة الذين عرفوا هؤلاء القوم ووصفوا احوالهم
ولكن هنا مسألة أخرى لا يتفق فيها ارباب العلم تزيد اصل المردة وجنسياتهم
قد ارتأى بعض الائمة ومنهم العلامة السمعاني والحاقلاني ومرميج بن غرون والدويهي ومن تبعهم من علماء الموارنة وبعض الكُتبة الاوربيين كبادونيوس ولوكيان وغيرها ان المردة هم الموارنة واقوى حججهم لبيان ذلك ان المردة كانوا قوماً من النصارى يسكنون لبنان ولا نعرف في القرن السابع شعباً يدين بالنصرانية ويسكن لبنان غير الموارنة. وان اعترض معترض على اصحاب هذا الرأي بقوله ان المردة كانوا فرقة جندية موقدة من ملوك القسطنطينية الى بلاد الشام انكروا الامر قائلين لو كان المردة طائفة من الجند لجروا من لبنان بعد افتقاد الصلح والامر ليس كذلك فان المروخين يذكرون انهم داوموا غزواتهم بعد الصلح الذي عده يستيان الثاني وانهم لم يكتفوا عن غاراتهم حتى ابرم هذا الملك معاهدة ثانية وارسل الى المردة عصبة تصرفهم من لبنان بالوعد والوعيد الى بلاد الارمن حيث كان الملك وقتئذ (٢). فهذا الاحتجاج لا يخلو من القوة وهو يبين ما في هذا البحث من المعضلات

اماً اصحاب الرأي الآخر فينكرون توحيد المردة والموارنة ويستدلون بأنهم الى كون المردة ليسوا وطنيين كالموارنة بل غرباء عن لبنان اتوه من الخارج كما سبق القول ثم استولوا عليه فحشروه في وجه العدو مدة الى ان برحوه بعد زمن قليل
ومما يدعم به هؤلاء رأيهم في اختلاف المردة عن الموارنة ان المردة كانوا خاضعين

(١) راجع سيج الماديات اليونانية والرومانية Saglio et Darenberg : Dict. des antiquités grecques et latines I, 1374

(٢) راجع ردود السيد العلامة المنضال يوسف الدبس على الاب الصمودي قاله (ص ٤)

لملوك الروم. قال ابن العبري في تاريخه السرياني (ص ١١٥) « ان المردة جنود لملك قسطنطين اللحياني ارسلهم الى الشام للمدافعة عنها ». وكل هذا لا يوافق الموارنة الذين خلعوا عنهم بقية ملوك الروم كما يظهر من تواريخهم ومن علاقتهم مع الملكيين انصار برزطية وملكها

وزيد اصحاب هذا المذهب الثاني ان كلام تارفانوس وقدرينوس (Cedrenus) وغيرهما مما ينفي عن المردة اصلهم اللبناني. والمردة على قولهم كانوا قبل دخولهم في لبنان يقطنون بلاد الارمن وولايات آسية الصغرى حيث وجعوا بعد غزواتهم في لبنان. وقد كتب احد علماء الفرنج اسمه انكيتي دويارون (Anquetil - Duperron) مقالتين مطولتين في مجلة الكتابات ليثبت ان المردة من الشعوب التي كانت قبل المسيح وانهم هاجروا الى بلاد عديدة في بحر الاجيال ومنهم مردة لبنان (١)

وان سألت الذاهبين الى هذا القول: وما هي على رأيهم جنسية المردة. اجابك بعضهم انهم اصلاً قبيحة ايرانية دخل فيها اخلاط من عناصر سوريّة واورميّة (٢)

والاب مرتين في كتابه المخطوط « تاريخ لبنان » يقول ان المردة من العرب وهو يشتق اسمهم من « التمرّد ». وهذا رأي ضعيف لان المردة لم يأتوا من جزيرة العرب ولا من جهة الشرق وانما دخلوا لبنان قادمين من الشمال. وهذا مما يرجح رأي القائلين بان المردة اتوا لبنان من جهة آسية الصغرى. ثم لم يفدنا احد من المؤرخين عن دخول العرب الى لبنان في القرن السابع. وان قال القائل ان هؤلاء كانوا من نصارى غسان من الذين استعان بهم ملوك الروم اجبتا ان التّسّانيين لم يخدموا اوانثي ملوك القسطنطينيّة خدمة تذكر بل لم يلبثوا ان انحازوا الى العرب مواطنهم وكل ذلك يخالف ما جاء عن المردة في كتب المؤرخين. وعلاوة على ذلك ان التّسّانيين كانوا من اليعاقبة وفي عهد المردة كان ملوك الروم يطاردون هذه الشيعة. ولم يكن المردة من قبيلة عربية أخرى لان العرب كانوا في ذلك العهد من الاعداء الروم فليس المردة اذن عرباً

(١) Anquetil- Duperron : *Mémoires sur les migrations des Mardes* راجع

Mém. Acad. Inscr. T. XLV, 87 et L. 1

(٢) Rambaud : *L'Empire grec au X^e siècle*, p. 213 راجع تاريخ دولة الروم

هذا ومن المقرر الثابت ان ظهور الموارنة كأمة مستقلة قد اتفق مع عهد حروب المردة في لبنان. وان لم يلم القراء بان الموارنة هم المردة فإنه لا سبيل الى التكرار بأنه وجدت بين الفئتين علاقات ودئية. ربما يتضح ايضاً من تاريخ ذلك العصر ان الموارنة عند خروج المردة من لبنان لم يتبعوهم في مهاجرتهم الى آسية الصغرى بل ثبت معظمهم في جبلهم.

اما المردة فجعلوا بعد عودتهم سكنهم في وطنهم القديم بلاد الارمن. وروى منهم من قطن في جوار ارضالية. ورحل قسم منهم الى جزيرة قبرس واحتل غيرهم بلاد اليونان ومورة ونواحيها. ولم يزلوا في كل هذه البلاد على نظامهم العسكري وكان لهم ضباط يدعونهم كاتيانو (κατεπάνω). هذه خلاصة ما ورد في امر المردة ومن استعاد امكنه ان يراجع ما كتبه عنهم قدرينوس (ك ١ ص ٧٦٥ و ٧٧١ طبعة بون) وزوثاراس في مجموع اعمال الآباء اليونانيين (ج ١٣٤ ص ١٢١٧) وتاريخ قبرس (ج ١ ص ١٠٦) للعلامة ماس لاتري (Mas - Latrie) والسعاني في المكتبة الشرقية ومجلة اصدا. الشرق (١٩٠١ ص ١٥٦) وساخاس (Sachas, Μεσαιωνική βιβλιοθήκη, II, 45 seqq.)

٦ المعجم

جاء في كتاب البلدان لاحمد بن الي يعقوب اليعقوبي (١) ان الحليفة معاوية لا فتح بلاد الشام وجد مدنها الساحلية فارغة من السكان فاستقدم قوماً من المعجم ليتخذوها لهم سكناً. وقد ذكر ذلك عن طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا. بل خصص بذلك ايضاً بعلبك وعرة في بلاد عكار. فصارت كل النواحي المحيطة بلبنان في يد المعجم بل اضحى قسم من لبنان في حوزتهم وهي الايلات القرية من المدن المذكورة كما يصرح اليعقوبي بهذا الامر.

فقر اليعقوبي السابق ذكره يضطرنا الى ان نجعل المعجم بين الشعوب البائدة من لبنان التي بقيت منها فيه بعض بقايا امتزجت باهلها. وشهادة اليعقوبي المذكور لم نجد لها ما يؤيدها في سائر التواريخ وادضاف البلدان الا انها تستحق الاعتبار وتستحق الانتظار. كيف لا وهي لكاتب من اقدم كتبة العرب عاش في القرن الثالث للهجرة وهو من

الشاهير الموثوق بكلامهم وصف في تأليفه أحداثاً قريية من زمانه
وما يحفلنا على تصديق قول اليعقوبي أننا نجد في لبنان قوماً من الشيعة كالمتأولة
والنصيريين توطنوا الجبل ويطروا عليه سطوتهم وخلفوا فيه آثاراً تنبئ بصحة ما سطره
الورخ الروما إليه . ومن جملة هذه الآثار ما نراه في بعض اهل لبنان من تركيب الجسم
وتقاطيع الوجه وسحنة البشرة التي يُعرف بها العجم
وقد وردت أيضاً في القرن العاشر شهادة أخرى تؤكد قول اليعقوبي وهي في
كتاب رحلة أحد الأعجام الى بلاد الشام وجزيرة العرب وهو نصري خسرو الذي نشر
كتابه العلامة شربل شيفر الشهير . ومما قاله صاحب هذا الكتاب أن « اهل طرابلس
كلهم من الشيعة » وكذا قال عن صردولا نسل أنهُ يريد ابنا هولاء الأعجام الذين
استقدمهم معاوية لسكنى بلاد الشام
ولم يعد الكتبة بعد هذا العهد يذكرن العجم ومنذ ان أمرهم ضعف بعدئذ
لما حدث في بلاد الشام من الحروب في القرن الثاني عشر فانتقض أمرهم واختلطوا
باهل لبنان . ومنهم النصيرية والمتأولة الذين ظهروا بعدئذ (ستأتي البقية)

النصوص الحكيمية

مجموعة من اقوال ائمة الفلاسفة

هذه طريقة وردت في كتاب ادييات عند احد فضلاء ملقة الداود الحراجا مبارك طنوس
عون وهو منقول سنة ١٨٢٠ عن رسائل وحكم قديمة لاغاة فلاسفة اليونان وغيرهم . ومما جاء فيه
ايضاً رسالة في المدود تُنسب الى الامام الفقيه عبد الرحمن السالبي وقد اقتصرتنا اليوم على هذا الفصل
وفيه ستة من الاقوال الحكيمية التي يأنس ببيانها الذم وبرتاج الى آدابنا القاب وتدل على ذكاء
قائليها

١ من اترل نفسه منزلة العاقل اترله الناس منزلة الجاهل — ٢ صديق كل امرئ
عقله وعدوه جهله — ٣ من كان الناس عنده سوا ما لجنونه دراه — ٤ كثرة التقرب
الى الناس مجلبة لقرين سوء . فكن من الناس بين النقيض منهم والمسترسل اليهم —

٥ من كرمته عليه نفسه صفوت الدنيا في عينيه - ٦ من لا يعرف الخير من الشر
فألفه بالبهايم - ٧ لا خير في الدنيا إلا أحد الرجلين أما ناطق عالم وأما صامت واعر
- ٨ قل الجاهل في خطابه ان يذم الناس وقيل العاقل ان يذم نفسه - ٩ القلم
سفير المقل ورسوله - ١٠ احسن لباس الرجل فصاحته وحسن منطقته - ١١ ابلغ
الكلام ان يصيب ولا يخطئ ويسرع ولا يبطئ - ١٢ افضل الناس من ترك الفضول
وطلب المحصول - ١٣ الوعد سحاب والقلم مطر - ١٤ أياك مصادقة الاحمق فربما
اراد ان ينمك وهو يضرك - ١٥ أياك مصادقة الكذوب فانه يقرب عليك البعيد
ويبعد عنك القريب - ١٦ أياك الحزون فانه ييمك بئس حدير - ١٧ قيل لحكيم
ما العقل قال: ترك الظنون والاستدلال بما كان على ما يكون - ١٨ ظفر بالدنيا من
حذرهما وظفرت به من أمنها - ١٩ اذا اقبلت الدنيا خدمت الشهوات العقول واذا
أدبرت خدمت العقول الشهوات - ٢٠ اذا اردت ان تعرف عقل رجلا فعدته حديثا لا
اصل له فان قبله فذاك احق - ٢١ من عاشر الناس بالمكر كافأوه بالندر - ٢٢ لا
ينبغي للقاضي ان يكون سفيا ومنه يلتبس الحكم ولا جائزا ومنه يلتبس العدل -
٢٣ القلم يريد العقل فتوقوا شر لثانته - ٢٤ اذا كذب السفيه بطل التدبير وانقصت
عزى الامر - ٢٥ لا يعلم من احرز العالم وتكبر - ٢٦ تواضعا للعلم ولا تكرونا من
اصدقائه فما يقوم علمكم بجهلكم - ٢٧ اربعة تكسب المحبة حسن الادب وحسن
الحديث وحسن الاستماع وحسن اللقاء - ٢٨ ثلاثة تكسب البغضة الصلف والمعجب
وسوء الخلق - ٢٩ احذر الخصام فاتها تمزق القلب وتذهب بالحيا ويتجرأ عليك من
كان يبابك - ٣٠ الاصدقاء ثلاثة صديقك الخاص وصديقك صديقك وعدوك عدوك
- ٣١ أقلل من كلامك وأكثر من صوابك - ٣٢ استمع ممن يمدحك حديثه ولا
تردد عليه - ٣٣ عود نفسك مكارم الاخلاق فان الخير عادة والشر لجابة والنفس
تطلب ما عودتها وزين الرجال اخلاقهم - ٣٤ العلم خير من المال لان العلم يجرى
والمال انت تحمسه - ٣٥ من حاسب نفسه ربح الحساب يوم الحساب - ٣٦ لا تطلب
ما لا يعينك فيشغلك عنا يعينك - ٣٧ لا تطلب من الانسان السوء فعلا جيلا فتفر
نفسك وتتب سررك - ٣٨ اشرف الاشياء العقل وافضلها العلم واخصها الادب -
٣٩ الحكمة نور والعلم دليل والعقل حياة والجهل موت - ٤٠ العلم كثر خف محمله

وهو في المصروف وفي الوجوه انس وفي الشدة عذبة وفي القربة عشي يشتد به حامله ويثقل به طالبه - ٤١ عقول الرجال في اطراف اقلامهم لان كتاب الرجل وزن عقله - ٤٢ الحكمة سلم العلو فمن علمها بلغ الى بارئ - ٤٣ راحة الحكماء في وجود الحق وراحة السفهاء في وجود الباطل - ٤٤ امور الدنيا تحت شين القلم والسيف والسيف تحت القلم - ٤٥ التجارب عقل ثانٍ ودليل هادٍ - ٤٦ ما ينته الاقلام لا تهدمه الايام - ٤٧ كل نعمة ما تكون من الله فهي بليّة - ٤٨ اشقى الناس من عرف الخير وعمل بالشر - ٤٩ قيل لحكيم: لم خليت الدنيا قال: خوفاً من ان تتخلى عني - ٥٠ ليس الى السلامة من الناس سبل - ٥١ افضل السلامة في مجابة الناس - ٥٢ اذا قيل لك «نعم الرجل انت» وكان ذلك احب اليك من ان يقال «بئس الرجل انت» فانت والله بئس الرجل - ٥٣ اجهد نفسك على الرضا بالذمة - ٥٤ الناس اقرب الى الله من تأسك جعل عبادته شبكة لصيد ما في ايدي الناس - ٥٥ انما يألف الذمة من جهل وحسب انه غير مستوجب لما دُم به - ٥٦ جُع الى الحكمة واعطش الى عبادة الله قبل ان ياتيكَ المانع منها - ٥٧ لا ترضين احداً بسخط الله - ٥٨ اتقوا العادات الرديّة بالمقاومة لها - ٥٩ احتمل من السفيه واحدة لكي تريح عشرة - ٦٠ اذا سمعت كلمة مرة اعرض عنها فان لها اخوة واخوات - ٦١ ان ضمنت عن فعل الخير فكف عن فعل الشر - ٦٢ لا يصدّئك عن الاحسان جحود طالب النعمة - ٦٣ حياة الشهوة مواضعها وموتها مقاطعتها - ٦٤ القلوب المملّقة بشهوات الدنيا عقولها عن الله محجوبة - ٦٥ من اطاع هواه باغ عدوه منه مناه - ٦٦ من اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا يسير - ٦٧ ما استطاع الناصب ان يصبه فلا ترغب في اقتنايه - ٦٨ لا تفرح بوجوده لا يتركه في يدك الموت - ٦٩ ما قدمته من مالك فهو لك وما خلقت فهو لنيرك - ٧٠ صدأ نور البهسل شبع البطن - ٧١ جاهد نفسك على الزهد في مرغوب الكلاب والخنازير - ٧٢ مهما امكنتك تجنب الشبع فافعل قتي الجوع فوائد تضيق الادراق عن نقايا اليك - ٧٣ احذر من الغضب فانه من اعظم جنود ابليس - ٧٤ اياك من الغضب فانه يُجوجك الى ذل الاعتذار - ٧٥ اكثر الناس خطأ اكثرهم كلاماً - ٧٦ السكوت ستر جميل - ٧٧ اياك وفضول الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن - ٧٨ من كثر كلامه

كثروا - ٧٩ من دخل مداخل السوء يُشبه لانه قيل "لا تَقِفْ موضع التهم" -
 ٨٠ اذا طلبت اصلاح قلبك فاستعن عليه بحفظ لسانك - ٨١ الزم الصمت فانها اجل
 عادة وافضل عبادة واكرم شيعة واعظم غنية يكسبك الكرامة ويورثك السلامة
 ويورثك التداية ويكفيك اللامة - ٨٢ اذا اخترت ان تكون حياً فكن ميتاً حتى
 لا تفرح بدمع الناس ولا تحزن بدمعهم - ٨٣ من ظن ان نفسه خير من قس فرعون
 فقد اظهر الكبر - ٨٤ لا تتكبر على أحد بفضيلة تظنها لك فربما كانت له فضائل وانت
 لا تشعربها - ٨٥ لكل داء ودواء والذنوب الاستغفار - ٨٦ ثدي الحكمة
 يرضع من فطم عن الشهوة - ٨٧ خوف الله لا يشبه خوف الخلق لان من خاف الله
 حرب اليه ومن خاف من خلقه حرب منهم - ٨٨ يجب على العبد ان يحسن توكله على
 الله فيما لم يأت به وان يحسن رضاه فيما اتاه وان يحسن صبره فيما قاته - ٨٩ لا تحالط
 الناس بها امكتك فان من خالط الناس داراهم وراياهم - ٩٠ من خلا قلبه من
 ذكر الله تعرض لوسواس الشيطان - ٩١ مكروه تحلو ثمرته خير من محبوب تمر مغبته
 - ٩٢ قيل لسقراط: اخبرنا عن العيش المنى . قال: هو قلة معرفة الناس قيل له: زدنا .
 فقال: ان تجهل من تعرفه منهم - ٩٣ من تأنى اصاب او كاد يصيب ومن عجل اخطأ
 او كاد - ٩٤ ما غلب عليك جذبك اليه رصرك يسيراً في يديه - ٩٥ العادم لغير
 المسالك مودية الى الهالك - ٩٦ فيك للشهوة غيم يحجب شمس عقلك وفيك
 للغضب نار تلتفح وجه عقلك - ٩٧ من المروءة ان تفض عن تسرّعك فراك لحياه
 فيه فاستحي انت منه كما استحي منك - ٩٨ سرور اهل البصيرة في صفاء السريرة
 واستقامة السيرة - ٩٩ لا تقل نفسي بلغت حد الرياضة ينبغي للنفس ان تراض
 حتى المات - ١٠٠ من عرف حقيقة اللذة لم يبق له لذة

سلوان الاسرى في ايوان كسرى

لخضره المقتى والعلامة المدقني الاب انتاس الكرملي (تسنة)

واردف الرحالة اريثيه قوله واصفاً ايوان كسرى بما ترويه:

"ويتأثر الباحث في مواطن شتى اسوار تلك الحاضرة وكانت في غاية المتانة

والثخانة والسلك وكانت مبنية باللبن مشدوداً بعضه ببعض بالتصبي وقد نُصِّدَ طبقات كما هو الامر تقريباً في اثر عقروق (راجع المشرق ١: ٢٠٧) وتُرى متباعدة جُثى من الانقاض والرُوم وبقايا جدران من الآبر وفي جهة النهر بقايا حيطان متينة مبنية بالآبر المحرق. وكان البنّازون قد اتخذوا فيه التبر عرضاً من الملاط. أما النبات في ارض هذا المصر فهو أغزر مما هو عليه في ما يجاوره من الارضين والابنة فيه قوية والشجيرات مشبكة عاسية جاسية

« وعلى مسافة زهيدة من طاق كسرى يرى مسجد قد أُقيم على ما يُقال للصحابي « سلمان باك » اي « سلمان الطاهر » ويذهب المسلمون لزيارة قبره ويقضون ثم يضة أيام متكئين على الصوم والصلاة والشيخ العربي خادم هذا المسجد يعتمد على الطاف وهدايا ورعيي المسلمين أكثر من اعتداده على ما رتب له الباشا. وعلى ضفة دجلة الغربية تجاه طيسفون كانت مدينة أخرى اقدم منها وكانت لها بئرلة ريش وهي « سلوقية ». وهذه كانت قد باغت في عهد اليونان شأواً بعيداً من النسي والارتقاء حتى ان بابل شعرت بوهن في قواها. ثم تضرعت وطلاندتها وترعزت قواعدها وضمت سواعدها. أما سلوقية فكانت تتأيد عراها وتشد قواها حتى اصبحت المصر الاول بين أمصار تلك الاقطار ومقر الملوك في تلك الديار وكانت واقفة على بعد ١٨ ساعة في شمالي شرقي بابل. ولم تنتقد آخرتها لتعسر عبر النهر يومئذ وخلوه من السفن او المراكب. لكن جماعة من العرب الذين كانوا يعرفون تلك الربوع احسن معرفة قالوا لنا انه يرى هناك اطلال مدينة عظيمة. وفي طيسفون اخرة وآثار وانقاض كثيرة الحجار واسوار بقية للاظهار مبنية باللبن الكبار. وطيسفون وسلوقية وما يجاورهما تُعرف باسم واحد وهو « المدائن » اه (١)

ويمكن بنا ان تريد على التفاصيل المتقدم ذكرها ان الحجارة فيها مشدودة بملاط جفتي أمتى. وهذا مما يدل على ان البناء روماني الاصل لا بابلي على ما نَبه عليه بـسـنـغـام (٢)

(١) راجع Olivier : Voy. dans l'empire ottoman. T. II, p. 433 et seq. — Paris 1804. In-4°.

Buckingham : Travels in Mesop., p. 528. (٢)

وقد زار ديش (Rich) اربع مرّات اي في اذار سنة ١٨١١ وفي كانون الثاني
وكانون الاول من سنة ١٨١٢ وفي ايار سنة ١٨٢١ وقد دون في كُتّابته اليومية
تَناجُحَ الجِماةِ العظمى (١)

ففي زيارته الاولى لاحظ ملاحظةً بحجةً غير مدقّقة في نظره ان كسر آجرها وخزفها
هي من جنس كسر آجر وخزف بابل وان علو شواطئ دجلة هناك يبلغ من ١٠ الى
١٢ قدماً وارضه صلصالية مدبّجة برشي النبات لكن لا يندر فيها الاشجار وبأوي الى
تلك النواحي طواف من انواع الطير كالكركي والحدأة والبجع ونحوها

وفي زيارته الثانية وجد بين طاق كبرى ودجلة رؤساً لجدار عظيم مبني بالابن
وان هذا الحائط اقدم من الحائط الذي كان موجوداً في شرقي الصرح ورأى في حنية
عند الطاق حلقة من حديد معلقة بجائز

وبعد مرور بضعة اشهر (اي في زيارته الثالثة وكانت في ١٢ ك ١ سنة ١٨١٢)
لم ير تلك الحلقة ولا مرء في ان الاعراب اتمامها ظناً منهم ان فيها شيئاً من النّظار.
فاذا كان الامر على هذا الوجه في قوم هذه صناتهم فكيف يأمل المرء العثور على آثار
بابل وينتوي التنفية. وقد لاحظ ديش ما عدا ذلك ان في القصد منافذ عديدة ينفذ
خلالها النور وكانت تلبس اقريب من النّخار. وامثال هذه المنافذ التي من شأنها الاضاءة
وتخفيف عبء القصد كثيرة في المباني الرومانية كما في ميدان كراكلاً مثلاً ثم لما كان
الخطر الاسفل من الجدار تفتأ به ايدي اصحاب القيث والقيث تراه مُغللاً أكثر ممّا هو
عليه شطره الاعلى. ونحن مقدم البناء يستدق شيئاً فشيئاً كلما ذهب صعداً وذلك من
٢٠ آجرة الى ٨ آجرات عرضاً

وقد ارحد ديش زيارته الثالثة خصرافاً لقياس تقاسيم البناء. وهذه الاقيسة تقارب
أقيسة اوليفيه وقد لاحظ ان دجلة قد غادر شيئاً كثيراً من الغرّيل من جهة طيسفون
ريظهر ان جري النهر قد انحرف نحو المغرب وقد جرّ وراءه شيئاً غير زهيد من سلوقية ولا
يبين ان جدران طيسفون غمرتها مياه دجلة. واخرية جنوبي شرقي طاق كبرى تقوم
براسها وهي واقعة في ناحية البستان

(١) راجع كتاب: J. Cl. Rich. : *Narrative*, etc. Vol. II. chap. XIX, p.

159 et Append. VI, VII et VIII.

ثم ان ريشاً أطلق طائر بصره على الخربة سلوقية وعلى الجدار الغربي منها . وعر
أقرب جدرانها الى النهر وقد تهدم بالكلية . أما الجدار الشمالي الذي هو فوق طاق
كبرى بثلاثة اميال انكليزية والجدار الجنوبي المقابل لهذا الصرح فأنهما شاخصان
واذا توغلت قليلاً في جهة الجنوب فانك ترى مزار شيخ وفيه قطعة عمود قديم من الرخام
الجزع وابعد منه بحيرة يُنسبها « نهر ملكا » وهو خليج كانت تتصل به عدة خلجان
اصغر منه

أما زيارة ريش الرابعة او الاخيرة فليس وراءها عظيم فائدة او عائدة للمسئلة
التي تهنا

وفي سنة ١٨٢٤ تفقد هذه الخربة كپل (J. Keppel) تفقد نكتة (التفة من
يقتف من العلم شيئاً ولا يستقصيه) وليس من المؤكد ان الاسامي التي يوردها على ما
لقبها آياه أدلأه من الاعراب هي اسامي تتعلق بالانحاء والارحاء التي وصفها من
تقدمه من السفر فانه وجد الارض على ضفة دجلة الغربية وعلى مقربة من سلوقية
موشاة لا بل منشأة بركام من الانقاض والاطلال وقد اكتست التلال بالعشب . وأما
جوارحه فكانت مستندرة . وعلى بعد ساعتين من الشط عثر على آثار ابنة عظيمة من
جعلها قطعة تمثال يُنقل امرأة جالسة على عرش مربع من الطرز المصري وهذا العرش
قائم على قاعدة ثمنها عشرة قواريط وكل ذلك من الأغبل وهو مما لا يرى منه ابداً في
صقع من تلك الاصقاع . وعلى قول الاعراب : انه كان ثم في سابق الزمان مدينة عظيمة
استزل سكانها غضب الله عليهم بدوام دكهم مطايا الخطايا وذلك التمثال كان يُنقل
في الاصل اخاً يرتكب المنكر مع أخته

ثم ان كپل مسح طاق كبرى فأدَّت به نتائج اقيسته الى نفس مؤدَّى ويش .
لكنه لا يعتبر طاق الوسط نصف دائرة بل يعتبره شجياً يقرب بعض القرب
من الملاي . وعلى رأيهِ ان ابنته كلها متقومة من الآجر المشوي لكنه دون الاجر
البابلي في الاحكام والاعتقان والمثانة . واسفل البناء قد تأكل من غمر المياه له
وهي الدائبة في إتلاف ما بقي من تلك الخربة . وكل سنة يأتي مزار سلمان ياك
جم غدير من الحجاج والزوار من جميع النواحي الدانية ويقفون عند طاق كبرى

ولعل هذا هو السبب الذي حال دون اندثاره وانداسه (١)
 وفي ك. ١٠ سنة ١٨٣٤ (ليلة عيد الميلاد) زار اخربة سلوية زيارة مقتبس تار بائي
 فرازر (٢) ومعه المعلمان فتلي ورُس فعبروا دجلة في بغداد ووجدوا الارض مخصصة مريمة
 وقد غطتها العضاء والكبر والحروب المتخذة في هذه البلاد بتزلة الرقود. وبعد ان تجولوا
 في تلك النواحي على حصنهم مدة ٥ ساعات ونصف وجدوا انفسهم بازا. موقع
 سلوية القديم وعرفوها من اركانها التي اصبحت قياما وقعودا. ومن حيطانها التي اصبحت
 ركاما وسجودا. متداعية الى الزوال. متضافرة على الانداس والاضحلال. ومحيطها
 يبلغ فحة عظيمة الجبال. مبثر على رجهها بقايا انقاض واطلال. وقطع خرف وزجاج
 قد لصق بها شي. من الصلصال. وقد توصل فرازر الى ان حصل من رعاة تلك الناحية
 ثماني دمسكوكات وحجارة منحوتة واساطين من البلور الحجري وثماني صغيرة من
 المدن. وفي انتالهم من سلوية الى الخلّة استنتج فرازر ان تلك البقعة من بلاد
 الجزيرة كانت آهلة بالسكان في غابر الزمان. وكانت المنازل والقرى والبلدان قد ضيقت
 ذلك المكان. فسبحان من يغير ولا يتغير على عمر الازمان

أما ما كتبه الكولونل چسني فلا يزيد شيئا على هذه التفاصيل ولهذا لم نترض
 لتريب كلامه. أما آخر من زار هذه الآثار القديمة من العلماء فهو پيترس راصعابة.
 وهذا مرّب ما جاء في كتابهم (٣)

«تتد اخربة طيفون امتدادا بعيدا غير انه في اليوم الذي ذهبنا اليها كان المطر
 يتساقط مدرارا ولم نستطع ان نرى إلا شيئا يبعد عنا اقداما. وعليه قد قصرنا بمشنا
 على ايران كبرى وعلى الذي كان في جنوبي القصر وهو على مسافة ١٠٠ قدم او اكثر
 وطاق ايران القصر مفتوح نحو الجهة الشرقية وسكته ١٠٦ اقدام على ما ذهب اليه
 ليرد (Layard) وهو ننس ما توصلت اليه تقريبا بموجب الحساب الذي حسبته استنادا

(١) J. Keppel: Personal narrative of Travels in Bahyl., etc. راجع
 London 1827 - 28, T. I, p. 122 et seq.

(٢) J. Baillie Fraser: Travels in Koordistan, Mesop. etc. طالع كتابه
 London. 1840, Vol. II. p. 19 et seq.

(٣) Peters: Nippur or Explorations and Adventures on the : وهذا عنوانه
 Euphrates, First campaign, page 158.

على سُوف الآبر. وتبلغ المسافة التي بين مدخل الايوان الى آخر حائط منه ٤٧ خطوة او ١٥٠ قدماً. ويبلغ ثخن الحيطان التي تتلقى الطاق ٧ امتار وفي الجهة الغربية من البوابة في الوسط. وأما جهته الشرقية ففتوحة كل الفتح على ما تقدم الكلام عليه. وقريباً من المدخل بابان من الجهتين الشمالية والجنوبية ويؤدي باب الجنوب الى مجاز معقود رواق صدر البناء وهو الى اليوم شاخص مائل. ولهذا الصدر ست طبقات متصاعدة علواً ويبلغ ثخن الحيطان عند اسفلها ٦ امتار. وكان خارج صدر البناء مخصصاً على حد ما يُشاهد في داخل الاواوين. وكان رواق هذا البناء يتد في الاصل نحو الغرب امتداداً يُشبه البهو كما يتحتمه كل باحث اذا ما تأثر بقايا اساس الحيطان ورسوم البناء من جهة الغرب. وصدر هذا الصرح لا يُترجم ترجمة صادقة عما وراءه من البناء.

« وشواخص رسوم هذا القصر الكسري تنطلق نظماً فصيحا بان جانب الايوان الواحد يُقل كرن الجهة الغربية تشبه كل الشبه الجهة الشمالية. هذا وانى وان كنت قد دقت النظر في التل الباقي هناك فع ذلك لم اجد دليلاً يثبت على وجود بناء كان سابقاً في الجهة الجنوبية يُشبه بناء الجهة الشمالية

» وشاهدت امام الايوان نحو الشرق جُثوة من التُهور تدفني الى التكهين بان الردهة كانت تمتد سابقاً الى نحو الشرق على وجه يخالف الهيئة الموجودة عليها اليوم لكنني لما لم اجد رسوماً لأُسس الحيطان فن الحتمل ان تلك التُهور قد هوت من بعض النحاء الصرح شاخص حتى اليوم

« ثم ان نُورديان علا صهرة الطاق فوجد ثم آبرة مع كسرة من الفخار الاخضر قد أحرقت في داخلها ووجد ايضاً آبرة بابلية عليها كتابة من عهد نبوخذ نصر ولا يدع في ذلك فان الاقدمين من جميع الطوائف البابلية كانوا كالحذثين ساكني هذه البقاع يتخذون في ابنتهم الجديدة مراد من ابنة من تقدمهم. وبالحصوص من مواد ابنة بابل بعد عهد نبوخذ نصر فانها كانت لم تنزلة منجم يجلبون منها ما شاوروا من المعدّات. انتهى

وقد اتينا على كلام جميع من تكلم عن ايوان كسرى واحداً بعد واحد حسب التاريخ ليقف القارى على ما صار اليه هذا ال اثر الجليل الذي لم يبق منه ألا التدر القليل وليطالع على اندراسه حقبة بعد حقبة وليتلم التدقيق في ما يصفه من الابنية

فان كل واحد من هؤلاء العلماء صور هذا الصرح بقلمه تصويراً يختلف مؤداه عن كلام صاحبه. ألا انه يتفق معناه في جديد قلوبهم. وفيبدأ الثاني عما فات الأول من الدقائق. ثم يزيد في جميع الحقائق. وعلى هذا الوجه وقتنا على احسن وصف وصف به ايوان كبرى. حتى يكاد يكون سلوكاً للأسرى

أما المائل الباقي منه في هذا اليوم فهو جزء من الطاق وجناح واحد من الحائط ماسك بيد القيد وأما الجناح الآخر فقد انهار في ١٥ نيسان سنة ١٨٨٨ عند ما فاض دجلة فيضاً عظيماً غمر ارض الايوان كلها فتقوضت تلك الجدران وترعزت بعض الاركان وجرت المياه جانباً عظيماً من حجارة ذلك البنيان وقد اوشك ان يصبح في خبر كان و:

لو تراه علمت ان الليلي جمعت فيه مأتماً بعد عرس
فنبجان من له الاسماء الحسنى الذي يقني ولا يقني (تت)

تاريخ فن الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي (لاحق بساقي ٦١٠٥)

فن الطباعة في الجزيرة والعراق

المطابع في الموصل (تابع)

٢ (المطبعة الكلدانية) كان ابتداء هذه المطبعة على عهد البطريرك يوسف اودو الشهير (راجع المشرق ٣: ٨٨٧) وذلك بجهة احد ابناء الطائفة الكلدانية اسمه الشاس دوقايل ابن القس بطرس مازجي الآمدي كان في اول امره انتظم في ملك جمعية الآباء اللعازيين ثم انفصل عنها لينتطع الى عمل الخير نحو امته. وكان للمذكور ثروة واسعة خصصها لانشاء مدرسة اكليزيكية وفتح مطبعة تنشر فيها الكتب الطقسية والمدارسية. ولم يلبث هذا المشروع ان يخرج الى حيز العمل نحو سنة ١٨٦٣. فاستجلب الكلدان الكاثوليك مطبعة من باريس مع كل اللوازم اللازمة بها من ادوات وحروف كلدانية وعربية وفرنسية ومساكب. اما العملة فكان اكثرهم ممن اخذوا

الصنعة عن حضرات الآباء الدومينيكان فبرعوا عندهم بصف الحروف وطُبعت وقتئذٍ بعض كتب كلدانية الى ان استأثر الله بنفس الحُسن فتوفي بالهواء الاصفر في سنة ١٨٦٥. فأُصيبت المطبعة بموتة بضربة لازبة الى ان احياها مدَّة غبطة البطريرك اليّا عو اليونان وكان حادثاً في فن الطباعة. ثم أهملت وبيعت بعض ادواتها لمطبعة الولاية. اما الكتب التي صدرت في هذه المطبعة فهي الآتية نسردها على حسب زمن صدورها :

١ كتاب الزبور الالهي بالكلدانية على ترتيب الفرض بمرقين اسود واحمر (١٨٦٥ ص ٣٠٠ + ٢٧) = ٢ كتاب دَنذار ودبائر (راجع المشرق ٥ : ٢٣٠) وفيه الصلوات القانونية اليومية مع تاسيح اكثرها للقديس مارونا (١٨٦٥ ص ٣٤٤ + ٧) = ٣ كتاب روضة الصبي الاديب في اصول القراءة والتهديب باللغتين العربية والفرنساوية على فقرات من توارخ العرب تأليف المطران جرجس عبد يشوع الكلداني الموصل (١٨٦٩ ص ٢٦٦ + ٧) = ٤ بعض رسالات رعائية

٣ (مطبعة الولاية) كان ظهورها سنة ١٨٧٥. وقد ساعد حضرات الآباء الدومينيكان على ترويج اشغالها فخدموا بذلك الحكومة المحلية خدمة طيبة عرفها لهم اصحاب الامر. وهذه المطبعة لم تنشر الا الادوات الرسمية والتجارية والسالنامات والاعلامات وما يشاكل ذلك. وفيها تُطبع جريدة الموصل مباشرة من سنة ١٨٧٩

مطبعة دير الزعفران

دير الزعفران دير كبير للسريان اليعاقبة شرقيّ ماردين على مسافة ساعة منها يرتقي عهده الى القرن الثامن للسيح وفيه آثار دينية قديمة ومقبرة لبطاركة اليعاقبة وهو مقامهم الآن

وفي عهد البطريرك بطرس الثالث الذي سبق البطريرك الحالي عبد المسيح سعي الانكليز بان يتقربوا من الكنائس الشرقية المنفصلة لاسيما اليعاقبية في بلاد الهند وما بين النهرين ورحل البطريرك الى لندرة فرحب به اعيان الدولة الانكليزية ودعاة دينها ودخل على الملكة فيكتوريا فآكرمت مشواه وتبرعت عليه بمئتي جنيه سنوياً لفتح مدارس ومطبعة. ولما قتل واجماً الى ما بين النهرين دارت المراسلات بينه وبين الانكليز. ثم ارسل المطران غريغوريوس عبد الله الصدي المتكثلك بمدني الى لندرة فاحاب حظوى

لدى اعيانها فاهده. مطبعة بكل ادواتها وذلك نحو سنة ١٨٨٧. فلما عاد الى بلاد الجزيرة صحبه سيدان انكليزيان وهما الدكتور تراملت والمعلم سر منير وليم وزارا طور عابدين ومقامات السريان اليعاقبة ثم توليا امر المطبعة قشرا فيها بعض كتب السريانية او الكرشونية ولم تشتمل هذه المطبعة الا ثلاث او اربع سنوات ثم رجع الانكليزيان الى بلادها فلم يمكن احداً من السريان ان يواصل عملها فبقيت المطبعة بلا عمل وتطلعت بعض ادواتها. وقد سمعنا ان الحكومة ابتاعت مطبعة دير الزعفران لاشغالها الخاصة في ديار بكر والله اعلم. اما الكتب التي ظهرت في هذه المطبعة فنعرف منها الآتية ولا ظن انه طبع غيرها:

١ كتاب المزاهر. ولم نطلع عليه طبع سنة ١٨٨٨ = ٢ كتاب الشجر اي الصلوات القانونية الاسبوعية. طبع طبعا غير متن وعلى ورق خشن (١٩٠٠-١٩٠٦). ورد في آخره ما حرفه: «طبع بمطبعة الشهيرة بدير الزعفران اي الكرسي الانطاكي لطائفة السريان بنفقة الشعب المؤمن الاخيرة المسيحيين بالنيابة واشترك ابنا. الطائفة السريانية وكان ذلك في سنة ١٨٩٠. . . اولاً باسم مولانا الاعظم وملكنا الانعم سلطان البرين وخاقان البحرين السلطان عبد الحميد خان أيده الله ملكه الى آخر الدوران امين. ثم بمساعدة الملكة للمطبعة انباطورية انبثيرة النخبة وبنظارة ونيس الاساقفة وطهران لوندرة والدوكتور تراملت والمعلم الفاسوف سر منير وليم والس حرمة المورثة وبمعاونة الس نص واشترك الشعب المؤمن اخوتنا شعب الانجليز الذين اجتهدوا بتنظيم جمعية خيرية لاجل فتح مدارس لابناء طائفتنا السريانية وكان ذلك جمعة وغيرة المهر الاعظم مار ايغناطيوس بطرس الثالث البطريرك الكرسي الانطاكي الذي اشتهر عن سنانائه بالحببة الحنيفة. . . وارسل الاب المشهور بالنبيرة الروحية غريغوريوس المطران عبد الله الى الوندرة (لندرة) وحصل على مطبعة شهيرة قد اهديت من المتر ميلار وشد وابنه وشركة المتر وبس مدون مع باقي المشتركين بهذه الهدية لدير الزعفران وهذه طبعة الثانية قد طبعت بالمطبعة المشار اليها وذلك باعتناء مديرها ايادوتيس المطران الياس والمعاونين له الراهب منصور وراهب الياس وصفانين الاحرف رفق الله واسكندر وجيرائيل وداود وجرجس. . . . واذا صارت المسنة من المبيع اثناء انه نطبع جميع كتب طائفتنا السريانية. . . = ٣ كتاب التعليم المسيحي بقطع صغير وحرف كرشوني كبير (١٨٩٠. من ٢٥٦) = ٤ كتاب مبادئ القراءة السريانية وخدمة القديس في كراس صغير (١٨٩٣. ص ٢١)

المطابع في العراق

مطابع بغداد

نفتح هذا الفصل بأداء فروض الشكر الى حضرة الاب الفاضل العلامة انتاس

الكرمي والى السيد الجليل والكاتب النيل محمود افندي شكري آلوسي لما تَلَطَّفَ بِهِ
كلاهما من الاقادات عن مطابع دار البلام ولولاها لما امكنا ان نكتب في هذا
الصدد ألا ما لا يشفي القلة

ان مطابع بغداد سنة دونك تاريخها ومطبوعاتها:

١ (مطبعة ولاية بغداد) أول مطبعة أنشئت في دار السلام هي مطبعة ولايتها
ويقال لها ايضاً مطبعة الزوراء وهي كبيرة تُقسم الى اقسام عديدة ونيتها ادوات تديرها
اليد جليها من باريس احمد مدحت باشا الشهير سنة ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) مع مطبعة
حجرية فاخرة. وفي سنة ١٢٨٧ هـ (١٨٧٠ م) اسر باصدار جريدة رسمية للحكومة
سُميت باسم الزوراء. وهي لا تزال تُنشر الى اليوم في المطبعة المذكورة مرة في الاسبوع
بالتركية والعربية

أما منشورات هذه المطبعة فضيقة النطاق وهي عبارة عن اعلانات رسمية وجداول
حساية ووصلات تجارية وما كان من هذا الباب. ولم يُطبع فيها من الكتب إلا التذر
القلي وهذه اسما. جميع ما نُشر فيها :

١ - سائفة الولاية لكل سنة كتاب ضخيم نحو ٢٠٠ ص = ٢ كتاب قوانين التجارة =
٣ قانون الجزاء المايوتي = ٤ قانون الاراضي. وقد ترجم هذه الكتب الثلاثة من التركية
الى عربية نصيحة هذبة احمد عزت افندي الفاروقي الشاعر الناصر المشهور كاتب الرياسة في ولاية
بغداد = ٥ كتاب نشوة السؤل في السفر الى اسلامبول (١٢٩٣ ص. ١٢٦) = ٦ كتاب
نشوة المدام في السؤد الى دار السلام (١٢٩١-١٢٩٣) وكلاهما للامة عسريه ابي التاء شهاب
الدين محمود افندي الشهير بالوسي زاده مفتي بغداد = ٧ وله ايضاً في هذه المطبعة كتاب
الاجوبة المرافقة على الاسئلة اللاهوتية (١٣٠١ ص ٦٤). ولم يصدر من هذه المطبعة غير
الكتب المذكورة

٢ (مطبعة كربلاء) أنشئت في قرب بغداد وهي مطبعة حجرية جليها من بلاد
فارس احد اكابر المعجم من اهل ايران سنة ١٢٧٣ هـ (١٨٥٦ م) في عهد مشير العراق
والحجاز محمد رشيد باشا وكان محبا للعلم ومنحطاً لاهل الادب والفهم. ولم نعرف لها
ألا كتاباً واحداً وهو كتاب مقامات ابن الاوسي المروقة بمقامات الجدة (١٢٧٣).
ص (١٣٤)

٣ (مطبعة كامل التبريزي) وهي مطبعة حجرية جليها من بلاد ايران الميرزا

عُاس سنة ١٢٧٨ هـ (١٨٦١ م) وسأها بالاسم المذكور. وقد طبع فيها الكتب الآتية:

١ كتاب اشراق التواريخ لبتوب بن عطاء الله الرومي القرماني = ٢ كتاب سبائك الذهب في سمرقة قبائل العرب لابي الفوز محمد امين البغدادي الشهير بالسويدي وقد طبع سنة ١٢٨٠ هـ (١٨٦٣ م) صفحته ١٢٠ = ٣ كتاب الطرائف والطائف للشيخ ابي نصر احمد بن عبد الرزاق المقدسي. وقد علق عليه حواشي وابيان الحاج محمد امين المرواني (١٢٨٣-١٨٦٦ م) من (٢١٥) = ٥ القائمة الطبعة لجلال الدين السيوطي. وهذه الكتب كلها مطبوعة على نفقة الحاج محمد امين المذكور. وكان خطاط المطبعة محمد جواد القارسي الاصل

٤ (المطبعة الخيرية) وهي مطبعة حجرية أنشئت سنة ١٣٠٢ هـ (١٨٨٤ م) صاحب امتيازها عبد الوهاب افندي نائب بغداد ولم تدُم الا بضع سنوات وقد طبع فيها جداول حاوية ورسائل قهية وكتب اسم: «بحر الكلام» لسيف الحق ابي المعين النعني

٥ (مطبعة دار السلام) أنشئت سنة ١٣١٠ هـ (١٨٩٢ م) وصاحب امتيازها ابراهيم افندي مدير السنية في العمارة ولم تطبع من الكتب الى اليوم الا كتابين وهما:

١ كتاب القوائد الاكبرية على الرسالة الاندلسية. تأليف السيد عبد الباقي افندي ابن السيد سمرد افندي زاده طبع سنة ١٣١٢ هـ (١٨٩٤ م) = ٢ كتاب بلوغ الارب في احوال العرب تأليف العلامة السيد محمود شكري افندي بن عياد بن محمود الآوسي سنة ١٣١٤ هـ (١٨٩٦ م) وهو في ثلاثة اجزاء. مجموع صفحاتها (١٢٤٠ + ٢٠) (راجع المشرق ٥٢٤: ٢؛ ٢٢٦: ٣) وهذه المطبعة تطبع اعلانات ومنشورات واراقا متنوعة

٦ (المطبعة اليهودية) أنشأها سنة ١٨٩٤ اليهودي شلومو ييغور. وقد طبع فيها كتب عبرية مدرسية ورسائل ومتاثير تجارية ونحو ذلك الا انه لم يطبع فيها الى اليوم كتاب عربي

طبعة البصرة

في البصرة مطبعة جنية طبعت فيها سالنامات وريدة رسمية وقذالك واراق تجارية ولا تعرف من امرها غير ذلك (انتهى تاريخ فن الطباعة في العراق)

ساعة شيخ البلد

للاب أنطون رباط البوعبي

إذا ما خرجت يوم عيد في زمن الربيع من مدينة ليون فست أصيلاً على ضفة نهر «الرون» متقبلاً جريانه الى حيث يجتمع مع نهر «الرون» فيسزجان مياههما رأيت منظرًا بديعاً قتل فورثيار (Fourvières) يمتد امامك وهو يزهر غضارة ونضارة تتخايل بين ادواجه قصور وابنية انيقة اتخذها موسرو البلدة رابع لهم يلجأون اليها اذا ما لفحهم القيظ فان آثرت المير على الأقدام والأفان قطارات الترمواي الكهربائي تترادف مارة كالذهب فاختر آيها شئت توصلك الى جسر «المولاتيار» باجرة لا تتجاوز العشرين بارة ومنه تتشم معظم الراية براتي أولاً ثم بشعاب وعرة المرتقى حتى اذا ما وصلت الى جادة «سنت فرا» عرجت عيناً الى ساحة فسيحة فيها قوم من القملة والاكاديين اجتمعوا عاندين من الكنيسة بعد صلاة المساء جرياً على عادة مسيحي الغرب أيام الآحاد والاعياد

ثم ترى القوم يتفرقون ارهاطاً كل رشط على قسین يامرون بالكرات يدرجونها ترويحاً للنفس من هموم الاشغال اليومية فيتجاذبون اطراف الحديث بينا لا يشرب سلامة شابة . ففي بعض الأيام بعد ان اخذوا نصيباً من الراحة وملأوا الالب احذقوا بشيخ قد جلس على حدة ينظر اليهم وكأنه بانتظارهم . وكان الرجل بين الشيخوخة احنى عب! السنن صلبة وللب الشيب في لثته المنحدرة على كتفيه كعقد من جلين فزاده جلاً وكانت تبدو على غضون جيئه سباء التحنك والدراية فقال احدهم وكان فتى غض الشاب: لم تنجز بعد يا ابانا كسباد ما وعدتنا به

من القصص

فاحاطوا به احاطة السوار بالمعص يسالونه ان يشرح صدرهم بشي . من اخبار

الاولين

فرفع الشيخ طرفه اليهم وقال: اريدون ان اقص عليكم ما سمعته او ما رأيته

باليان ؟

قالوا: بل ما رأيته

— ما رأيته ؟ اني رأيت اموراً جنة لا يزال ذكرها في صدري كأنني اليرم شاهدتها
او هل اخبرتكم بساعة شيخ القرية ؟
— لا لا لم نسمعها بعد
— اسمعوا

فاصغوا جميعاً كأن على رأسهم الطير

قال الراوي: قد مضى على هذا سترن سنة ونيف كنت اذ ذاك في ريعان الشباب
لم اتجاوز السابعة عشرة من عمري وقد توفي ابي وانا صغير ولم تلبث ان حلقت اُمي لما
داعمها من الغم والحزن

قال هذا وتقبضت جبهة فصح بمنديله دمة سالت على خذه الخدود ثم اردف
كلامه وقال: فاصبحت يتيماً لا املك شئ ولا اعرف صنعة تكسبني العيشة
غير انه كان لي الامم بشي من الغنا اخذته عن جوارله الثنين ولا يخفى على الرجال
يتكلم ما كان عليه ابائنا في الازمنة الغابرة من الشغف بالاغاني الوطنية والالخان
القديمة والادوار الرجولية التي اضحت اليوم نياً منياً في ظهري من يدعون انفسهم
اولاد عصر التمدن كأنهم قد اكتشفوا على الشمس والقمر ونحن كنا لهم جاهلين
قال هذا ووجه طرفه بابتسام يستشف من ورانه شيء من الاسف الى حلقة الشبان
المكتفين به

فقاطعه احدهم: لا تغضب علينا يا عم كبار اننا نقدر اغانيك والخانك
القديمة حتى قدرها فلا تصوب اليها سهام مذمة نحن منها خلاه وبرا
قال آخر: وبرهاناً لذلك فطلب اليك ان تسمعنا الليلة شيئاً من نغماتك المطربة
فنكون لك من الشاكرين

قال كبار: حباً وكرامة ثم عاد الى حكايته

« قلت اني كنت عارفاً بالتنا فرائيت ان اتخذه لي حقة فاطوف الاسواق وارتصد
المواسم في القرى المجاورة فاعيش قرواً بما يقدره الله لي لا ارجب في الثروة ولا اعلل
الآمال ببارخ معالي الرتب فاصبح يوماً سيداً او اميراً كما يفعل فتيان عصرنا »
فتبسم الحضرد لتكته ولم يقاطعه

«ولكن اليد الوحيدة لا تصنع كذلك لا بد للفنا من رقعة وذري آلات فسهل الله لي الامر علي احسن ما كنت اروم وذلك اني بينما كنت اطوف يوماً وجدي في انحاء الجبل الذهبي (Mont-d'Or) رأيت شاباً طويل القامة صبيح الوجه حسن الشارة اهيف من تبصر في ملامح وجهه خييل له انه لم يبلغ الحث لا فيه من صفاء اللون واصفراره على حين كان قد ناهز او جاوز العشرين وكان اسمه الفريد الصبودي»
قال احدهم: هو الفريد شتروب الغني الذي دفن هناك على جنب كنيسة قريتنا

— هو هو فقد ذهبت مراراً لاصلي على قبر هذا المسكين صديق صباي ولم يش طويلاً لا كان قد قاساه في صفره من الجوع وضنك العيش يتيماً وحيداً قضى مراراً الليل تحت الجسور عرضة للبرد والارباح. فتأثرت من جوار ذلك بيئة التحفة وجرى داء الل في صدره قصفه غصناً نضراً لم يبلغ الثانية والعشرين من عمره فتبت به مدة مرضه غناي باعز الاخوان ولما قربت ساعته قال لي: «اني احسن ان قواي قد خارت فهل لك ان تدعو لي كاهناً». فاسرعت ولما جاء الكاهن سمع اعترافه وزوده بالاسرار. ولم يلبث ان اسلم الروح بسلام لم اره قط في ميت. رحمه الله فاجاب الحاضرون: الله يرحمه

— قال احدهم. وساعة شيخ البلد نيتها يا عم

— قال كبار: لم انها. وكان لالفريد صوت رخم اذا غنى خبت الحمام يتردد ويستريح في صدره فتوتر نغمته في الافئدة اي تأثير عيس الرابة مساً لطيفاً قترن تحت انامله وتصبح صياح الشكلي. قلباً سمته راططامت على جذقه عرضت عليه الشركة في اكتساب العيش فتكون يداً واحدة وقلباً واحداً ونحلب الدم اشطره. فرضي ولما لم يكن ذا خبرة في التدبير ضعيف الجاش اذا رأى خيالاً طار قلبه شعاعاً كت له كالاخ الكبير والمدير يتبعني كظلي ويشي بي وانا اصغر منه سناً

فقضينا اشهرًا معاً نمجول في انحاء ليون وسنت اتيان في هنا. ودغد حتى انضم اليها شاب آخر يدعى شارل اولين. وكان لهذا اب حيالك فلم يرض الابن ان يتخذ حرفة ابيه فضاقت به اسباب المعيشة فتبعنا وكان اخرج مهذاراً متهوراً ذاسحتة مضحكة وقعا اذا لقي من خصمه فشلاً لكن اذا فجأته فاجئة ونظر اليه قرنه شذراً أعرش جينا

وتاجلج لسانه قرقو كالدجاجة عياً وخرقاً. على انه كان يزر حسناً ولم يلبث طويلاً في شركتنا لانه سمع بفتح الجزائر فارد اليها رغبة في الثروة ولا ادري اهو الآن حي او ميت

وفي بدو سنة ١٨٣٠ أنبتنا انه سيقام في فواحي «لونس لوسويه» (Lons-le-Saunier) موسم عظيم يجتمع فيه الوف من الباعة من كل اطراف مقاطعة جورا فاغراي شارل على الذهاب اليه لثور البلاد ونفني قذبح ربحاً عظيماً. فتلقت هذه الدعوة ببشر لاسياً ان تلت كانت تقيم ابنة تجمني وأياها قرابة تدعى حنة لا يتجاوز عمرها عمري امت الى سنت فوا وهي صغيرة فكنا نلبس سوياً وتواعدنا على الزيجة اذا ما كبرنا واتاحت لنا المقادير ثم عادت الى بلاد «فوش كوتة» وقد أعلبت أنها خادمة. في فندق يسمى فندق القوس الاحمر فرغبت في زيارتها لاذكرها أيام الصبا وارى هل هي مقيمة على المورد

فاعدنا الزاد ووضعتنا سفرنسا في جراب وسرنا مشياً على الاقدام لان السكك الحديدية لم تكن عندئذ في عالم الوجود ولو كانت لا بمكنتنا اكياننا الفارغة من دكرها وصرتنا نقطع المراحل تارة نتجاذب اطراف الحديث وطوراً ننشد الاغاني فيزر شارل وينقر الفريد ربابة وانا اعاونها في النساء وكناً نيت في القرى فننتقد مضيفنا غناء وانشاداً بدلاً من الدرهم والدينار الى ان صرنا على مرحلة من المدينة محطاً وحالنا قضيخنا ليلتنا في قرية نيت الآن اسمها وبسد الظهور قلت لاصحابي: هلموا بنا الى «لونس» اذ لا بُدَّ لبلوغها من السير الحثيث فآوي الى تزل القوس الاحمر ونصبح نشيطين وألاً لاضطرنا الليل ان نيت في الغابات وغداً رأس السنة الجديدة ويوم مومنا

فأذعنا لتالي وسرنا وكلن البرد قارماً والتلج يساقط فيكسي المزارع والآكام ثوباً ناصع البياض تبدو من خلاله اشجار السنديان تتلاعب فيها الريح فتتايل زهواً ودلاًلاً قطعنا ضياعاً وعماز تارة نسلق الروابي وطوراً نهبط في الادوية وحولنا جبال قد اتررت بالسحاب واعتت بالثلج الى ان انهار جرف النهار وبانت «لونس» في منعطف واد تكليل مفرقها قم زبيدية الالوان وتحيط بها الاشجار والحقول كنطق من الخمل يلسم تحت اشعة الشمس الآذنة بالغروب

فركنا جادة الطريق وصرنا على حاشية غابة مظلمة حبسناها، توصلنا الى منته
 "لونس"، المشرف على المدينة حيث يقام الموسم ومنه فنحدر الى المدينة. وكنا نسرح
 الابصار في بديع ما بسطته الطبيعة على مرآتنا وألفريد ينظر الى ظلمات الغابة بتوجس كأن
 في طيها زُمرًا من الجبن واقفة له بالمرصاد لتختطفه. فجعل يغني مكرراً ادواراً حماسية
 حيناً بعد حين عسى ان يكشف عن قلبه غمامة الخوف الى ان غاض قرن الغزالة وراء
 الجبال وجاء الليل ناشراً اجنحة الظلام فحسنا السير واذا بصوت انكساره ارتدش
 له الفريد فالتفت اليها قائلاً: أما لقي خطر

قلت: دع عنك هذه الادرهام ان الطريق امينة فلا خوف علينا وما القرية تجاها
 اقرب اليها من جبل الوريد

قال شارل: اظن الفريد يخاف الوحوش الضارية. لا بأس عليك يا رفيقي فليس
 للسباع في النحيف مثلك مأكل دهم وكبار فابن الله انه لاسن من الحروف
 المسن وهو اهل لان تفرمه اسنان الغيلان

قال الفريد: ناشدتك انه دع عنك ذكر الغيلان فانها تذكرني ما طالما قصته علي
 جدتي من اخبارهم فاقسم من جلدتي وعظمي

ثم رسم على جبته اشارة الصليب ورفع عتيرته يفتي. واذا بالصوت الذي سمعناه
 ينتهرا مرة أخرى. فانسمع لونس الفريد والتجا الى كما يفعل الفرخ اذا رأى الباشق منحطاً
 عليه. فكنت دوعه وتجلدت وتقدمت الى حافة الغابة لارى هل هناك احد واذا بكمل
 طويل القامة لحيم البدن ذي وجه عبوس وهو راكب على بغلة تنو تحت ثقل جنته
 الضخمة بان من خلال الدرع والعوضج اللثف عن يسارنا. فتقدمت اليه فقال: انصروا
 مساء آيها الشبان

فبرقت فيه ناظري واجبت على تحيته وعاردا السير

فقال: الى اين انتم ذاهبون ؟

قلت: الى لونس لوسونه

قال: عودوا حالاً على الاعقاب اني لكم ناصح فان في دخولها خوفاً عليكم
 قلت: واي خوف ونحن شبان نفتم ايام المراسم والاعياد فتطوف القرى رديش
 من غنائنا دون أن نتعرض لاحد

قال: اكرر عليكم مشورتى مستقون خطراً
 قلت: دع عنك الحرف يا شيخ السلام
 قال: قد اندرتكم وقد أعذر من أنذر
 (التثنية للآتي)

اطيب مثال

في ترجمة المطران جرمانوس الشمالي

نبذة للكاتب الفاضل الموردي بشاره الشمالي

الحياة دعوات ومواهب لله الباري عز وجل وما حياة الطيب الذكر المطران
 جرمانوس الشمالي الشهير بالمبرات ألاً حياة رسول الانذار والتبشير في ديارنا الشرقية في
 النصف الاخير من القرن السابق اصطفاؤه الله ليكون قدوةً للاخبار ومثالاً لاهل الفضل
 وذوي القيرة. فإيفاء بالوعد واجابة الى رغبة مدير هذه المجلة ترفاً الى قرأه المشرق
 الكرام لباب حياة هذا الخبر الجليل التي اودعناها في كتاب مطوّل وسناده بالدّرر
 النوالي من حياة المطران جرمانوس الشمالي ونشرناه بالطبع زيتاً برسم عديدة. ونقسم
 نبذتنا هذه الى ثلاثة ابواب نصف في اولها الرجل واهم اطوار حياته التي تقلب فيها.
 وفي ثانياها المرسل واعماله وطريقته المثلّي في الوعظ والخطابة. وفي ثالثها نمبر المؤلف
 والشاعر والمرسل وكل ذلك على رجة الاجمال فراياً من الاسهاب الممل. ومن استزاد
 فعليه بالكتاب المتقدم ذكره

الرجل واطوار حياته

سُويّة قرية خاملة تتوسّد منحني جبل من مقاطعة كبريان يبعد عن البحر نحو
 مياين على كف قرية عينطورا ذات المدرسة الشهيرة تحديق بها القباب والاحراج
 الكشيّة كأنها

سلطنة حنّ الحرير عيطّة بمتابها من اخضر او اصفر
 والبحر برقص عند اسفل عرشها مستقبلاً بدويّة عن مزهر

فهذه هي القرية التي احتلتها أسرة الشمالي منذ نحو مائتي سنة فتمت عدداً وفضلاً
 حتى زانها الله بفرع جديد اولاهها فنحراً على فخر ألا وهو صاحب الترجمة فرنسيس ابن

الحوري ميخائيل بن منصور بن يوسف الشمالي الذي اشتهر في آخر حياته باسم جرمانوس . ولد فرنسيس في اوائل شباط من سنة ١٨٢٨ من والدين بارزين يعدان التقى من

كوزمها وكان المولود ثالث اخوة اربعة لم يبقَ منهم في قيد الحياة الا اصرهم
قتل الصبي في حجر والديه تقياً رريض الطباع محمود الاخلاق محباً للمباداة . ومماً
اتصف به في سني عمره الاولى تعبه لريم العذراء تلقن ذلك من امه وهو في الهذ
فتا وغت في فؤاده محبة نحوها وتأتلت عروقها في صدره وما زالت تردد نوا مع
الايام الى آخر نسمة من حياته وقد كافأته البتول الطاهرة عن عبادته هذه بان استدعت
الى دار البقاء يوم عيد الحبل بها البري من دنس الخطيئة الاصلية

وكان فرنسيس متوقداً منهم سريع البديهة جيد الحافظة فارسله ابواه منذ شرع
الى مدرسة مجانية كان انشأها في عين طورا في القرن السابق الاب بطرس مبارك
اليسوعي الماروني ولم يزل يتردد اليها حتى اتقن دروسها وهي عبارة عن مبادئ القراءة
العربية والسريانية واصل الخط مع تظرف في الكتب الطقسية لمساعدة الكهنة في
الرتب الدينية . وبلغ ذلك قبل ان يدرك العاشرة من عمره

وبعد ان انجز فرنسيس درسه البدائية طلق يعضد اخوته في قضاء حاجات البيت
ومناظرة الاملاك وهو مع ذلك يراجع في اوقات الفراغ ما تعلمه ويستغنى لو يتاح له
ان يدخل احدى المدارس كي يستقي من ينبوع علومها الزلال

وفي اثناء ذلك سمع الشاب صوت الله يدعو الى خدمته وزاده وغبة في هذا
الامر انه قضى بضعة اشهر في مدرسة مار سركيس ريفون الاكاديمية حيث تقوى
في درس السريانية فعمل فيه منظر تلامذتها ورداً لو يتسره ان يكون مثاهم . فكان
يطلب الى الله والى والدته البتول ان يقربا اليه سرغوبه ويلبناه اقصى غايته

فاستجاب الله حلاته وفاز بمبتاه بعد زمن قليل فانه بلغ السيد اسطفان الحازن
مطران دمشق ما كان عليه فرنسيس الشمالي من ذكاء . الفهم وحسن التقوى وانه تائق
الى الدروس ليعخدم الله في الدعوة الكهنوتية فرسل بذلك وارسل الشاب الى مدرسة
مار عبدا هرهرياً فدخلها وقلبه يستطير فرحاً كن احاب كترأ دفيناً يومئذ من كوارث
الدمر ارميناً صافياً يرد فيه غليله . وكأني به قد رد في فكره ما قاله بعد ذلك في
وصف العالم (نظم اللائي ص ٥٦) :

العلم للقل مثل النور للبصر من أحرز العلم نال النور بالوحي
من حازه حاز كترًا ليس تلبه ايدي النصوص ولا ذر المكر والنور

لم يباشر فرنسيس العلوم التي طالما رغب اليها حتى عكف على تحصيلها وانذفع
الى إحرازها بما لا مزيد عليه من النشاط والغيرة. وكان يجد في موقع مدرسة مار عبدا
ما يجتنب الدرس الى قلبه فان هذه الدار في عزلة عن ضوضاء العالم مبنية في وادٍ نضير
تزينه احراج الصنوبر والحدائق المشجرة. ويروي هذه الفياض جدول ماء زلال يتعدى في
وسطها مرقرة

فتي هذا المكان التزمه صرف فرنسيس الشمالي سبع سنين عدّها من اسعد أيام
حياته فتفرغ الى اقتناء كل العلوم الكهنوتية من فصاحة وفلسفة ولاهوت مع درس
العربية والسريانية. على انه كان منشغلاً بدرس الكتاب المقدس يمين في معانيه النظر
ويتعلم منه قطعاً عن ظهر قلبه ويطالع شرحه وقد دارم على درس الاسفار المقدسة
مدة حياته كلها. ومن آثاره الباقية في ذلك انه نسخ كل تفسير المهد الجديد
لكريستوس الجبري يديه وهو عبارة عن ١٥١٠ صفحات في ثلاثة مجلدات ضخمة

وبلغ حب فرنسيس للدرس الى انه كان يحرس على وقته حرص البخل على ماله فام
يضع منه شيئاً. وكان في مدة تتره الدارسين يتل عنهم لمطالعة كتاب او لمراجعة
درس وما كان ليصرفه عن ذلك صارف حتى في أيام الشتاء والبرد القارس فلا تجب بعد
هذا انه اصاب قصبات السبق في مضمار العلوم وفاق على وقته ونجح نجاحاً يتفك في
الامتحانات التي قدّمها لدى الاساتذة الناحسين فأدرا له شهادة تؤذن باهليته وفضله

وكان فرنسيس مع انكبابه على العلوم لم يقبل امر نفسه فانه كان يهتم بان يزمن قلبه
بالفضائل التي تمكن ارباب الكهنوت من مباشرة اعمالهم الشريفة في سبيل الله
وخلاص القريب. وكان يتدر ما يقترب من يوم ارتقاه الى درجة الكهنوت السامية
يزيد قلبه برّاً وقداً الى ان اسفر صباح ذلك اليوم السعيد الذي اتخذه فيه الرب
وحده نصيباً وميراثاً وكان ذلك في ٥ آب سنة ١٨٥٥ على يد سيادة المطران اسطفان
الخازن وجري الاحتفال في كنيسة سهيّة الرعائية. وثاني يوم تكهنه وهو يوم عيد التجلي
اقام للسرة الاولى قدماً حافلاً حضره جمهور الاقارب واهل القرية فتأثروا لما وجدوه في
الكاهن الجديد من التقوى الملائكية وكان ذلك اليوم عيداً يبيح قضاء الحوري

فرنسيس في مسقط رأسه بين التهانى والمسرّات. وفي مساء النهار أوقدت المشاعل وأطلقت
البنادق وعلت اصوات الفرح ودام ذلك هجمة من الليل
وما كاد الحوري فرنسيس يرشف كأس الهناء حتى دعاه الله الى الشغل وتضحية
نفسه في سبيل القريب فاتاه امرؤ من غبطة البطريرك يوسف الحازن ليعود الى مدرسة
مار عبدا ويتولّى رعاية تلامذتها وتهذيبهم في الآداب والعلوم الكهنوتية فاجاب الى
دعوة غبطته وباشر مهنة الجديدة بما عرف به من النشاط والهمة. والذين تتلمذوا له
يشترن حتى اليوم على صفاته الطيبة كنفازة علمه وإحكامه في الشرح ولين جانبه في
المعاملات وحرصه على تثقيف الطلبة في العلم والنضية دون مراعاة الاشخاص. وقد
خرج من تلامذته سادة افاضل وكهنة اجلأ. أدوا ولا يزالون الخدم الجليلة لطانفتهم
وكان الحوري فرنسيس يستريح من تعب التدريس بنسخ الكتب الثينة. وقد
بلغ ما خطه يده الطاهرة في تلك المدة ثنتا وعشرين مجلداً في العلوم الدينية والديونية
في اللغتين العربية والسريانية مما تستغرق مطالعته الستين الطوال. وكان مع ذلك لا ينفرد
عن اتمام كل اعمال الكهنة النعيرين من رياضات ومواعظ واستماع الاعترافات
وما اشبه ذلك

ألا ان قلب هذا العبد الامين كان يتوق الى اكثر من ذلك فكانت رغبته الى
ان يتعاطى كل اعمال الرسالة والتبشير ويشغل في حراثة كرم الرب دون عائق. فاناله
الله تصارى بغيته بعد زمن قليل. فانه لما كانت سنة ١٨٦٥ تيسر للطبيب الذكر
والبرود المساعي الطران يوحنا الحبيب ان ينظم جمعية المرسلين اللبنانيين في دير الكرم
فكان الاب فرنسيس الشمالي من اول الذين انتظموا في سلك هذه الجمعية وتقدروا
كل واجباتها مع نسيه الحوريين فرنسيس واسطفان الشمالين. وقد امتياز صاحب
الترجمة ببراعته في الوعظ وطرائقه المبكرة في اقامة الرسالات حتى شاع اسمه في جميع
انحاء لبنان بل في سورية كلها. ألا ان قداسة سيرته وشغفه وعشقه وتشفاته كانت
تعمل في النفوس أكثر من بلاغة خطبه. وذلك ما حمل رؤساء الطائفة الى ان يهدروا
اليه مراوياً بشؤون الملة فقام باعابها احسن قيام
ولما انس منه غبطة البطريرك المثلث الرحمت يوحنا الحاج وسائر السادة الاساقفة
هذه السجيا الفريدة وحسن التدبير للامور اجعروا على ان الحوري فرنسيس افضل راع.

قام على ابرشية حلب الترملة منذ سنة ١٨٨٨. ومن ثمّ بينا كان الرسل الفيور يصرف مجهوده في عمل الرياضات في سواحل بيروت اذ بلغت رسالة من السيد البطريرك يأمره فيها بالثول امامه دون تأخير فقام لساعته وذهب توجاً الى بكركي المقر البطريركي مساء عيد الميلاد وهو لا يعلم بما هيأه الله له. فلما وقف على نية رئيسه وعرف انه لا مناص له من طاعة اوامره حتى الرأس لئير الاسقفية وغماً عن نفوره طالباً من الله أن يساعده على القيام باعبائها الشاقة

وتت حلة التكريس في ثاني عيد الميلاد بأبنة عظمى فأتخذ منذ ذاك اليوم اسم جرمانوس لما لهذا الاسم في قلوب الحليين من الوقع الحسن وقد زينه قبله اسقفان جليلان احدهما المطران جرمانوس فرحات الطيب المآثر

وما بلغ الحليين خبر انتخابه داعياً عليهم حتى ترتب لسانهم شكراً لنبطة السيد البطريرك وانتلفت القلوب وبطلت الاحزاب وباتت الرعيّة تنتظر بفروغ الصبر ورود جبرها الذي عشقته القلوب قبل ان تنظر اليه العيون

وكان يوم دخوله الشهباء يوماً مشهوداً بل موسماً مقدوداً اهتدت له المدينة كلها وقد قدّره الحليون منذ رأوه حتى قدّره واقتنص محبتهم من اول خطبة القاها في ظهوراتهم يوم وصوله فعرفوا به داعياً غيوراً راباً محباً اتاهم ليتفاني في خير نفوسهم ولم تكذب فيه آمال وعيته بل الاولى ان يقال انه بلغ حيث لم تبلغ الاماني والهمم مع قصر مدة رعايته التي لم تتجاوز ثلاث سنوات لكنه قد صدق فيه قول الحكم: انه استوفى بزمن قليل سنين كثيرة

فانه ما كاد يستقر على كرسيه حتى وجهه هتة الى توفير اسباب نجاحه وابتدأ بامور الدين ولها السبق والتقدم فباشر القاء الارشادات والمواظ على شعبه في الاحاد والاعياد وفي آونة الرياضات فتقاطر الناس الى اسماعه وكان يأتيه السامعون من جميع الملل والنحل فيشهدون له بطول الباع في فن الخطابة وقد ارتد كثير من الخطاة على يده الى جادة النضية

ومن اعماله المبرورة انه انشأ الاعمال الخيرية ونشط الاجتماعات التقرية والاخويات واهتم بقرية الاحداث وقد بنى لهم مدرسة ليتنقوا فيها بالدين والآداب وجدّد المطبعة المارونية لنشر الكتب الدينية والادبية

وفي مدة اسقنيته اليسيرة اُصلح عدة امور في كنيسة الكاتدرائية ففرش الخورس بالبلاط واقام منبراً لاوعظ وابتنى مذبحاً للقديس يوسف. وكذلك اُصلح الكنيسة القديمة وجعلها محلياً لداره الاسقفية رفيها كان يقدس ايام الشغل. ومع ما تكلف من النفقات في هذه الاصلاحات امكنه ان يبني نحو اربعين الف غرث من الديون التي على الكرسي. وشكل جنتين من العوام والاكليروس للنظر في شؤون الوقت

ومما يذكر له فيشكر اهتمامه في اكليروسه ومحبة لهم. وكان يسفل الجهد في ان يعيشوا البشة الالهة يرتبهم السامية ويزيدوا كل يوم فضلاً وصلاً. وكان الاسقف البار يتقدمهم في طريق القداسة فينمش فيهم روح النيرة والبر بمثل اكثر منه باقواله

فكل هذه الاعمال الخطيرة مع ما كان يفرضه على نفسه من الصوم والسهر الطويل وحصر الفكر في ادارة امور ابرشيته المتعددة فضلاً عما كابدته من برد حلب القارس وحرها اللافت قد اثرت بصحته لكنه لم يبال وداوم على اشغاله الى صوم سنة ١٨٩٥ فباشر الرياضات المتوالية وكان يهبط ثلاث مرات في النهار وهو مع ذلك يصرم الى الظهر ولا يأكل غير الزيت فما مر عليه عشرة ايام حتى اُصيب بقوة بكتفه اليسر مع شال في القلب فاضطر الى ملازمة الفراش وحكم الاطباء بقاء الضربة

لكنه بعد مدة رأى الاساة بعض التحسن في صحته فاشاوروا اليه بالادوية الى لبنان لله يجد في هواء الوطن دواء لدائه فعمل بعد استئذان غبطة البطريرك وزايل ابرشيته مخافاً وراه الاسف والكآبة

فماد الى لبنان العزيز وتتمل مدة خمسة اشهر في صروده الطيبة حتى تحسنت حاله الا ان ساعة جزائه كانت دقت فانتكس في ضحى عيد السيدة البرية من دنس الخطيئة الاحلية وهو نازل الى بيروت مع سيادة المطران يوسف نجم النائب البطريركي فما باغ قسبة جوية حتى احس بدار قوي عليه بعد ساعة فذهب بجياته الشينة وقد ترقى بكل هدوء بعد ان تزود بالاسرار المقدسة وطلب القرآن الكامل وكان آخر ما ربه اليه خاطره اولاده الروحانيين فاسام روحه وهو يدعو لهم ويباركهم

ولا نصف ما احاب طائفته ومعارفه وخصوصاً ابناء رعيته من الحزن على تقديمه فان القلم يقصر عن وصف مثل هذه الرزية. اما جثته الكريمة فنقلت الى بكركي حيث صلى عليها رزوس الملة واعيان الطائفة واثن الفقيد خطباء مصقعون ثم أُودع

الرس في سُهَيْلة مسقط رأسه بكل تَجَنُّه وَاكْرَام. وقد دُفِن بعد ذلك بمِجْس سنوات الى قبر أُعدَّ له في الجانب الايمن من مذبح الكنيسة الرعويَّة وهو يرقد اليوم هناك على رجاء القيامة وعلى ضريحه تُتلى هذه الابيات من نظم الحُردي اسطفان الشامي وقد ضَمَّنَهُ تاريخاً نقلَهُ عن نظم اللاّلي :

نُصِّي جرمانسُ الراجي ثوباً قُضِيَ رَجُلُ المِطَابَةِ والكَالِ
قُضِيَ حَبْرٌ لَهُ فِي كُلِّ قَطْرِ مَعَادٍ خَطُّهَا كَبْرُ النَمَالِ
تَرْيَهُ غَادِرُ الشَّهَاءِ تَبْكِي لِيَقْتُلَ رَمْسَ اخوانِ وَاَلِ
وَارِخَ رَمْسِهِ فِي ذِيْلِ رَسْمِهِ كَمَا قَدْ قَالَ فِي نَظْمِ اللّائِي
وَمِنْ صَحْبِي يَمِينِي ارْتَمَتْهُ فَيَقِي الرَّمْسَ ذَكَرًا لِلشَّامِي

هذه لمعة من ترجمة مثال الاخبار السيّد جرمانوس الشامي توقفتنا على بعض اعماله الخطيرة ألا ان هذه الاعمال الظاهرة كانت كلاشي . بالنسبة الى ما اُتُخِفَ بِهِ باطنُهُ من الفضائل كَتَقَوَاهُ رُوح عِبَادَتِهِ فِي مَنَاجَاةِ اللَّهِ وَاتِّكَاالِهِ عَلَى الرَّبِّ فِي الضِّيقَاتِ وَالبَلَايَا والصبر على السَّآتِ والسَّذَاجَةِ والتَّزَاهَةِ فِي المَاعِمَلَاتِ وسَجَايَا أُخْرَى كَثِيرَةٌ أَتُخَفِّ بِهَا رَحْمَةُ اللَّهِ بِمَعْنَا ضَيْقِ المَقَامِ عَنْ تَعْدَادِهَا

٢ المرسل

المطران جرمانوس مَنَّمَن بَرَزُوا فِي دِيَارِنَا الشَّرْقِيَّةِ فِي الكِرَازَةِ وَالتَّبَشِيرِ فَسَالَ بِذَلِكَ ذَكَرًا بَعِيدًا تَجَاوَزَ لِبْشَانٍ وَبَلَغَ حَدُودَ الشَّامِ وَفِلَسْطِينَ وَالْقَطَرِ الْمَصْرِي حَتَّى ضُرِبَ بِوَعْظِهِ المَثَلُ . لَكِنَّهُ لَمْ يَنْتَلِ ذَلِكَ عَنَواً دُونَ عَنَا . بَلْ أَتَّصَلَ إِلَيْهِ بِالِاسْتِعْدَادِ الطَّوِيلِ وَالمَاهِرَةِ المَتَوَاصَةِ

وَأَوَّلَ مَا فَكَّرَ فِيهِ أَنْ يَطْبِخَ فِي قَلْبِهِ الْفَضَائِلَ الرِّسُولِيَّةَ الَّتِي لَوْلَاهَا لَكَانَ كَلَامُ الرَّاغِظِ «نَحَاسًا يَطْنُ أَوْ صَنَجًا يَرْنُ» وَكَانَ فِي صَدْرِهِ غَيْرَةُ مُلْتَهَبَةٍ لِحَيْرِ النُّفُوسِ الَّتِي فَدَاهَا الرَّبُّ بِدَمِهِ الثَّمِينِ . وَكَانَ ابْتَدَأَ أَنْ يَشْتَفِلَ بِأَمْرِ خِلَاصِهَا حَتَّى قَبْلَ كَهْنُوْتِهِ وَهُوَ شَأْسُ فَكَانَ يَجُولُ فِي الْقُرَى المُجَارِرَةِ لِمَدْرَسَةِ مَارِ عِبْدَا وَيُعَلِّمُ الْاِحْدَاثَ التَّعْلِيمِ الْمَسِيحِيِّ . وَكَانَ يُوَجِّهُ دُرُوسَهُ إِلَى هَذِهِ النِّهَايَةِ لِكَيْ يَتَّخِذَ الْعُلُومَ وَسِيْلَةً لِّخِلَاصِ الْقَرِيبِ . وَذَلِكَ مَا مَحَلَّهُ عَلَى اتِّقَانِ دَرَسِ الْاِسْفَارِ الْمُقَدَّسَةِ لَعَلَّهَا أَنَّهَا مُرَوِّدٌ لِلْوَاعِظِينَ يَجِدُونَ فِيهَا مَادَّةً وَاسِعَةً وَكَثْرًا لَا يَنْفَدُ لارْشَادَتِهِمْ وَتَعَالِيهِمْ فَضْلًا عَمَّا فِي كَلَامِ اللَّهِ مِنَ الْقُوَّةِ الْجَاوِيَةِ الْمُؤَثِّرَةِ فِي الْقَاوِبِ . وَقَدْ وَاصَلَ هَذَا الدُّوْسَ مَدَّةَ كُلِّ حَيَاتِهِ حَتَّى صَحَّ فِيهِ قَوْلُهُ عَنْ غَيْرِهِ :



السيد الجليل
جرمانوس الشمالي مطران حلب على الموارنة
١٨٩٥-١٨٢٢

هذيذه في كلام الله متصل بمتار منه غذاء النفس كاللبن
ومأ ساعده ايضا على ما قاله من المثار الروحية روح التزاهة والتجرد الذي عرف
به في سياحاته الرسولية فان سامعيه لدى علمهم بان هذا الراعظ لا يطلب غير صالحهم
كانوا يتقون به ويصفون الى كلامه ويتقادون الى تعاليه. وكان يحبك فيهم لطفه
ورداغة فانه اجتذب بلين طباعه ودمائة اخلاقه كثيرين من الخطاة الذين كانوا
يقصدونه كما قصد الابن الشاطر اياه مقرا بذنوبه تائباً عن آثامه

وقد كان الله جعل المطران جرمانوس بكل الصفات الطبيعية التي يمتزها الناس
في مبشرهم بالخلاص ومرشديهم الى الله من ذلك جيت الوضاح وحيه البيضاء وظله
العميق المملوء عنوبة وملامح وجهه النسيكة وخلعت الزهدية ووقتته الحشوية بحيث
لم يره احد على متن النبر الا تذكر بن قيل فيه: «صوت صارخ في البرية»

ومأ خصه الله به انه كان في وعظه طاق اللسان دميم الصوت سريع الحاطر
قوي الحافظة امينها لا يتلعثم بحرف ولا يتردد بكلمة ولا يحصر عن تمير ولا يسرع
ببارة بل كان يتساقط الكلام من فيه كأنه الدر المنظوم في سلك الماني اللطيفة
والتصورات المبكرة

وكان فضلا عن ملكة البيان المذكورة آتيا رقيق القلب سريع التأثر يخرج كلامه
من قلبه دون تحشع فيلج قلوب السامعين ويملك عواطفهم ويسترف دموعهم مع ما أوتي
من قوة الحجة وجلاء البرهان عقلا ونقلا لتضلهم في الدروس الفلسفية واللاهوتية
وهذيذه في الاسفار المترلة. ولوداجعنا ديوانه لرأيتاه وصف نفسه حيث قال في غيره
وقد احسن:

الناظ الدُرّ والمنى برصما بالنظم والنثر والانتذار بالسنن
ويقوله: لديه صفات موسى في خطاب وغيرة قلب اليا النير
ويقوله: ويعد موتا في الخطاب لملح يونان في جوف الغفة فاعفا
ويقوله: فترى القلوب تذوب عند خطابه وتزوب بين تقبّع وتصع
ويقوله: فتسع عند خطبه شوقا وقرع الصدر حيث الطرف هام

ولو اتسع بنا المجال لتبعناه في البلاد التي طافها كلبتان وانحاء الشام وحلب
والجليل وقلطين ومصر اذن لوجدناه عاملا نشيطا في كرم الرب يحصد حيثما سار
حصادا وافرا والشعوب تزدحم حول مثبته دون تمييز بين غني او فقير وجه او حقير رئيس

او مروتوس وربما كان يتكلم ساعة أو ساعتين والناس في استماعه كأن على رؤوسهم الطير وكان كلامه يلذ البلغاء والعامة لمزجه بين الطلادة والسذاجة وبين المعاني الرفيعة والامثال الدارجة والتشايه القريه المثال فتم بشخصه ما نظمه في مدح المطران يوسف جميع:

ما قام يوماً بالناير واعظاً ألا واعظ كل نفس ما نبي
ان شئت تشبهه في وعظه قل مثل موسى يوم وضع البرقع
حاكاه في نفس البهاء نظير ما ضاهاه في هذي الصفات الأربع
وهي الرءاه والبشاشه والتقى والنيرة الكبرى على المنهج

ولا عجب بعد هذا اذا رأيناه قضي اجله شهيد الانذار والوعظ اذ لم يصبه الداء الذي ذهب بحياته الا لانه حلل نفسه فوق طاقتها في المواعظ والارشادات ليس فقط في كنيسته طائفته بل في كنائس الطوائف الكاثوليكية كلها انايه الله واجزل جزاءه في فسيح جناته

٣ المراف

صرف الجبر جرمانوس الشامي حياته في التدريس والرسالات والقاء المواعظ فلا غرو ان قلت محسناته وهو لم يتفرغ للتأليف ومع هذا قد ترك من بعده كتاباً مفيدة غدت النفوس ولا تزال باقاريق البر والصلاح من ذلك انه اعتنى بتقحيح كتاب روضة الواعظ الذي عربّه الحوري انطون آصاف وطبع في المطبعة الكاثوليكية للأباء اليسوعيين وكذلك اعاد النظر باشارة سيادة المطران يوسف الدبى في بعض الكتب الطقسية فاصح عبارتها كخدمة القداس اليومية وكتاب الاقرايميات اي المدايح التي تتلى في القداس وكتاب الزياحات والرتب

وعني ايضاً بمعاونة رفيق رسالاته الحوري اسطفان الشامي بجمع ما كان منشوراً من مواعظه في ورقات كادت تلعب بها ايدي الضياع فجاء كتاباً جامعاً سهل العبارة وقد سماه كتاب لحة العين زقته الى كهنة الرعايا ليساندهم على كسر الحُبز الروحي للاغسام الناطقة وقد نُشر هذا الكتاب بالطبع في جزئين واليوم قد نفدت نسخته لتراود الكهنة عليه ولا عيب في هذا الكتاب الا أن تحييه نفس كاتبه لان السيف بضاربه كما قيل

وللمطران جرمانوس ديوان شعر ألغنا اليه جمع فيه ما نظمه من القصائد في كل

ايواب الشعر كالديع والراثا. والانشيد والترايخ وغير ذلك وقد ساء نظم اللاي
للحبر الشالي وطبعه في حلب سنة وفاته بالمطبعة المارونية المتجددة بمنايتيه. وحسب
الاقتصار ينبغي من ذكر انموذج منها فتحيل القارى الى مطالعة هذا الديوان ليرى
ما فيه من الحاسن كجودة النظم وسهولة التعبير وابتكار المعاني. وكان الفقيه شاعراً
مطبوعاً قال الشعر عفواً دون درس سابق على استاذ وكان قبل دخوله مدسة مار
صدا يقول الشعر المعاني بدياً يودعه التصورات البديعة والمعاني الحسنة ثم طالع كتب
المروض بنفسه فنظم القصائد الجيدة. وكان في شعره يطلب المعاني قبل الالفاظ
ولذلك يرى في بعض ابياته شيء من الركاقة. ولا شك انه لو تفرغ للنظم واعمل
النظر في دواوين من تقدمه لكان عد من شعراء عصره المبرزين

وكان ينبغي علينا في الحتام ان نذكر شيئاً من مراسلاته فانها مثال الكماليات
الالهية الحالية من كل تصنع مع ما فيها من سلامة الذوق وجودة التعبير والتجاني
عن الكلفة والاسترسال في المعاني اللينة والمواطف الودادية. ودونك رسالة نثبها هنا
لتعريف طريقته في الرسائل كتبها الى ابنتي اخيه المنضبتين الى رهبانية القديس
يوسف في مدينة ليون :

« انه لدى رجوعنا من شغل الرسالة الى الدير لاخذ الراحة قليلاً وتشديد ما يمكن ان يكون
ارتقى من عزام القوى لتسكن من تعبد العمل بجماعة ونشاط في ابتداء الصوم المقدس القادم
قد ورد لنا خبر بركا نلتقياه بناية السرور وكان لنا بدء الراحة لما حواء من الإخبار المثير الى
واحتكا التامة وسرور كما بجائكا السيدة ما بين زهور فردوس ثان مع يسوع آدم الثاني الذي
حسبنا بيد ميلاده السيد. واستشعنا ما اقتطفناه واهديناه برسالكنا رائحة زنبق الطهارة
وزردين التواضع وورد الحبة فلا برحسا مصوتين من كل كدر ومروستين برعاية من يرى بين
السوسن ولا زلتا تودعان عيداً وتستقبلان عيداً في ساحة الاقراخ مع مصاف العذارى عروسات
يسوع. الى ان تلتقي جيماً في ذاك العيد الذي لا تنتهي اقراخه ولا تصت الالسة عن التهنئة.
ثم نقول املاً وسهلاً بالسة الجديدة جعلها الله سنة مباركة تبشر بالخير والامان في كل مكان.
وتطلبان الدعاء بدلاً عن « صاحبكنا » في صباح الخير فهذا نقدمة في كل صباح على يد مريم البتول
التي تكلل ما ينقص من شرائط البتول فالادل ان يكون لنا ولجيمتنا الحديثة نظيرة منكنا ومن
كامل جيمتكنا المقدسة القبول دعاؤها والمشهور خيرها اشهار الشس رائحة النار والظامة في
سلك الحبة لآل استخرجت من بحر هذا العالم فيزدان بأنناها اكبل الية المقدسة ... »

ونقف عند هذا الحد طالعين منه تعالى ان يطيب ضريح هذا الحبر الفضال
والعبد الامين ويجمعنا وائاه في مصاف اوليائه الصالحين

مطبوعات شرقية جديدة

Der Islamische Orient

von M. Hartmann, Berlin IV u. V 1902 SS. 103 - 193

الشرق الاسلامي

ذكرنا غير مرة هذه المجموعة التي وسعها صاحبها الفاضل العلامة مرتين مرتين بالشرق الاسلامي لبحث فيها عن بلاد الاسلام واحوال المسلمين. وهذا القسم الرابع قد خصه المؤلف بآسيا الوسطى فرضنها لا كن وآها بالميان بل استادا الى ما تسمه وهو في الاستانة العلية من افراء بعض اهلها المسلمين ونقلًا عن عثر عليه في مكاتباها من الخطوط عن تلك الاقطار لاسيا تركستان الصينية. وفي هذه المقالة فوائد عديدة لتوعية عن التركية القديمة التي يتنى بعض المستشرقين بدرساها. ومن دأب المؤلف في الجاه هذه انه يستطرد الى امور شتى فيكثر من ملاحظات ومنقولاته لكنه ربما جازف في الكلام ولم يستوفه نصيه من الحقيقة. وبينما نحن نكتب هذه الاسطر اذ وردنا القسم الخامس من هذه المجموعة وفيها ترجمة المانية لبعض الاقاصيص الشائعة في بلاد تركستان نكتفي اليوم بذكرها

ج. هـ

DIE PARABELN DES HERRN IM EVANGELIUM

exegetisch u. praktisch erläutert v. L. Fonck S. J.

Innsbruck, Fel. Rauch (Karl Pustet) 1902. SS. 80/8.

امثال الرب في الانجيل مع شرحا نظريا وعمليا لاب فونك اليسوعي

ان الامثال التي ضربها الرب في انجيله الشريف حاوية حكمة حاوية يشهد لها فطاحل العلماء غير المؤمنين فضلا عن المسيحيين وسذج القراء. ومن اعمل فيها النظر وجدوا اول بدء سهلة الادراك قرية المبال لا تعاص على الجهلاء فضلا عن الحكماء. الا انه لا يلبث ان يجد تحت هذه القشرة الظاهرة نواة تتخفن من الدارك السامية والمقاصد الجليلة ما تعجز عن فهمه العقول البترة ولذلك ترى الذين كتبوا في شرح هذه الامثال يكاد لا يمحصرهم عند من آباء ومعلمين وواعظين ومفسرين. وهالك اليوم حضرة الاب فونك احد تولا مدرستا الكلية سابقا واحد اساتذة كلية إنسبروك حالا قد انجز مجلدا ضخما وضعه في تفسير هذه الامثال الرية في اللغة الالمانية. فقد

أجلنا فيه النظر فإذا هو حقيقة، خلاصة كل ما كتبه القديس. والحدثون في هذا الصدد وقد صدر كتابه بمقدمة ذات اربعة ابواب بحث فيها اجمالاً عن الامثال ومقاسها وغايتها ومقاصدها وطرائق شرحها. ثم حاول بان يجد فيها مقصداً عمومياً يشملها جميعها فرأى انها كلها عائدة الى تعريف ملكوت السموات الذي بشر به المسيح فالبعض منها يبين حقيقة هذا الملكوت وجوهره واعماله والبعض يدل على اصحابه واعضائه وما يترتب عليهم من الفرائض ومنها اخيراً ما يعرف غاية هذا الملكوت ونسبته الى اعضائه. وقد تتبع المؤلف هذه الاقسام الثلاثة ثم اخذ كل مثل وشرحه شرحاً مستوفياً من حيث الالفاظ والمعاني والظروف والمقاصد الخفية والاشارات الرمزية. وكثيراً ما ينتقد على آراء العلماء الذين سبقوه فيصيحها او يفتلها مستنداً الى ادلة ساطعة لقوة او علية لا رد عليها. ومن خواص هذا الكتاب انه مورد للوعاظ يستقون منه ما يحتاجون اليه في اوشادتهم وتقاسيرهم الانجيلية. وفي الحتام نتسنى ان ينقل هذا الكتاب وامثاله الى لغتنا ليكون دستوراً لدارسي الاسفار المقدسة وشارحيها

١ سلسلة بطاركة الطائفة المارونية

٢ شرح التكريسات والشرطونية

وكلاماً للعلامة الطيب الذكر البطريرك اسطفان الدويهي

طبعاً في المطبعة الكاثوليكية سنة ١٩٠٢ (ص ٢٣١ و ٢٩٣)

عني بنشرها حضرة الأستاذ رشيد افندي الشرتوني عمراً البشير ومدرس المعلمية في كلية القديس يوسف قد شغف جناب المعلم رشيد افندي الحوري الشرتوني بتأليف فخر ائمة وفريد عصره البطريرك اسطفان الدويهي فاحب ان يخرجها من ذوايا النسيان ليمتس من فوائدها اهل الوطن عموماً وابناء طائفته خصوصاً فخدمهم بذلك خدمات متواليمة تستحق الشكر والشان. واليوم قد اهدانا هذين الكتابين وهما دليل جديد على هتبه التي لا تعرف الملل. والازل منها يتضمن سلسلة البطاركة الذي انتشر سابقاً في المشرق غير ان هذه الطبعة ابرزته في هيئة جديدة انتت الطبعة السابقة. كيف لا وقد زيدت عليها زيادات عديدة مأخوذة عن كتب خطية. بمكتبة كلية القديس يوسف وعن بعض الاوراق التي وجدت في خزانة الكرسي البطريركي وعن دفاتر ارسلها احد افاضل

المسلمين اللبنانيين في الكرم وغير ذلك مما اطلعه عليه بعض الاصدقاء. ولم ينشر قبلاً بالطبع بمحض منه بالذكر نهج المراسلة في البطريكية المارونية وُجد مكتوباً بخط البطريك يوسف اسطفان في مكتبة مار يوسف الحصن وهو يدل اوضح دلالة على حالة البطارقة في الايام الماضية ومنه ايضاً براءة البابا بناديكتوس الرابع عشر في تقسيم الابريشيات مع براءة البابا يوس السادس في قضايا تخص الموارنة. وقد ألحق الطابع كتاباً يفهرس هجائي مطوّل للأعلام الواردة في هذه السلسلة وفي هذا العمل من القوائد ما لا يحصى

أما الكتاب الآخر وهو للدويهي ايضاً فيقسم الى قسمين يشمل الاول شرح التكريسات والثاني شرح الشرطونية اي رتبة وضع اليد وقد طبع لأول مرة عن نسخة الحزانة البطريكية وكان الدويهي ارسل هذا الكتاب بعد تنقيحه الى رومية العظمى ليُنشر بالطبع فتعم فائدته غير انه لم يتسن له حفظ الطبع فبقي مدفوناً الى ان قام جناب المحام المعلم رشيد افندي الحوري الشرتوني فاتم رغبة المؤلف ولو بعد قرنين من الزمان. وفي هذا الكتاب بيانات جلية عن الطقوس القديمة وهندسة الكنائس وكيفية الرتب التي يسعى اليوم غبطة السيد البطريك مار الياس الحويك بردها الى اصلها. وقد سرنا ان الكلام في هذا الكتاب كما في الكتاب السابق بقي على حاله كما صدر من قلم المؤلف وفي هذا ما يزيد التأليف ثقة واعتباراً عند اهل العلم

وكنا ننتهي لو اقدم جناب متولي طبع هذا الكتاب على نشر الاصل المشرح اي رتبة الشرطونية نفسها التي جمعها الدويهي لتم بذلك الفائدة وتنقطع الشكوى من اختلاف نسخ الشرطونية لكنه اعتذر في مقدمته بان قد حال دون مرغوبه عدم تيسر النفقة اللازمة لثل هذا المشروع ولنشر آثار آخر للدويهي باقية دون طبع وهذا عذر لا نقبله ونحن نعلم ان في الطائفة المارونية رجالاً لا يخشون بذل الدرهم في سبيل مساع خيرية كهذه يقدرونها حتى قدرها قرب الله الاماني وجازى كل المحسنين خيراً ل. ش

شذرات

عادة حميدة قد علنا بالسر ان تذكارات الموقى بالصلوات واقامة القداسات على نيتهم والجنائز لراحة نفوسهم مما يزيد مع الايام انتشاراً ليس فقط

بين الكاثوليك لكن أيضاً بين الروم كما استدللنا على ذلك بعدة اعلانات في الجرائد وهي امري عاده حميدة قد سبق الروح القدس فدحها حيث قال في سفر المكاسب (١٢: ١٦): اني لراي مقدس تدعوني ان تقدم الكفارة عن الموق ليحلوا من خطاياهم

الجرائد المصرية وضعت ادارة البوسطة المصرية تقريراً يستفاد منه ان عدد الجرائد او المجلات في مصر بلغ ١٢٠ منها ٨٧ عربية والباقية انكليزية او فرنسية. وبين الجرائد العربية ٣٠ جريدة سياسية وتجارية وجزئتان هزليتان و ١٧ مجلة باللغة العامية و ١٠ مجلات دينية و ٧ قضائية و ٥ طبية ومجلتان زراعتان ومجلتان نسائيتان ومجلة مدرسية ومجلة ماسونية (زه) أما الجرائد الاجنبية فاكثرها سياسية الا اربعة او خمسة منها تبحث في الطب او الشريعة. قدي ان الصحافة في مصر على تقدم ويا ليت الصحافيين المصريين يتعاشرون كاخوتهم السوريين فحش الكلام وللمعلن بالاشخاص وتغويه الباطل ونجس حقوق الدين والآداب

الدراجات في فرنسا تبلغ عدد الدراجات في فرنسا هذه السنة ١,٢٥٠,٠٠٠ تدفع للحكومة في السنة سبعة ملايين فرنكات كاجازة لسيدها في الطرقات

اعظم جنة للورد Graveriaux جنة كبرى في جوار باريس في مكان يدعى لاهي (l'Hay) غناها كل ما امكنه من اصناف الورد المروقة في العالم وقد بلغ عددها ستة آلاف شكل او فصيلة فن دخل هذه الحديقة سحر قلبه بما يجده فيها من ضروب الورد ونظام هندستها والرائحة البديعة وروائحها العطرة. وقد وضع لها في هذه السنة قائمة بين فيها اصناف الورد الذي جمعه مع تعريف خواصه وتقاسيمه بحيث يتمكن العلماء النباتيون بمطالعة هذه القائمة من درس الورد درساً علمياً وافياً. والسيو غرافرود يرخص لمن اراد ان يزور حديقته ويفحص ورودها عياناً

اَسْئَلَةُ الْحَقِيقَةِ

سألنا من يهتد الحراجي ب.ب. الموراني لماذا اعتاد الشرقيون شق كفن الميت عند مواريث الغراب وهل هذا شائع عند الاوربيين

شئ كفن الميت

ج اعتاد الناس في بعض البلدان ان يفتحوا التابوت ليروا الميت قبل مواريته التراب ليتحققوا وفاة الميت ويتأكدوا هويته. ولعل الشرقيين اخذوا هذه العادة منهم او يريدون بذلك الوداع الاخير. وعلى كل حال لا يليق ان يُفتح التابوت في الكنيسة امام الناس كما يفعل البعض

وسألتنا من غزوة حضرة المرسل اللاتيني الاب ج. غات (G. Gatt) ما هو اسم ميافارقين باللاتينية وباليونانية وابن موقعها

ميافارقين

ج ميافارقين احدى مدن الجزيرة على مسافة يومين من آمد (ديار بكر) على شاطئها الشرقي وهي اليوم بلدة صغيرة. وكان السريان يدعونها ميقرط (مكتبة) اما العرب فعرفوها باسم مدينة الشهداء وهو ترجمة اسمها الذي عرفت به عند الرومان واليونان (Martyropolis)

س وسأل من حدثون حضرة المتوري نسبة انه نصار. ما هو ذلك المجر الذي اشار اليه الرب في متى (٤٢: ٢١): «ان المجر الذي رذله البنون صار رأس الزاوية...» وشئ كان رذله وكيف تم وضعه رأساً للزاوية

مجر الزاوية في متى (٤٢: ٢١)

ج هذه الآية التي استشهد بها الرب قالها أولاً داود في الزمير (٢٢: ١١٧) لا اضلعه اعداؤه فقال بعد الذل فخرأ. لكن داود كان رمزاً للمسيح كما اقر بذلك كل المفسرين اليهود فضلاً عن النصارى وكانوا يدعون المسيح باسم الحجر او الصخرة كما جاء في شرح ربي سليمان وفي بولس الرسول. قال الرب بقوله ان البنين رذلوا الحجر انما اراد بني اسرائيل الذين لم يقبوا المسيح وطلبوا موته. وكون هذا الحجر صار رأس الزاوية فتم بقيامه الرب وانشاء الكنيسة اذ اعلنا الرسول ان الكنيسة مبنية على اساس الرسل والانبياء. وان رأس الزاوية هو المسيح (افس ٢: ٢٠) ل. ش

س سأل احد أدباء البلدة: هل تشتق لفظة هلم من اللهم اشتقاق هلم

ج لم يشتق احد هلم من اللهم. وانما اشتقوها من ها التنيه ولم اي اجمع يريدون لم شعثك واقدم ل. ش